فَنُّ الدِّرَاسَةِ

الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

الطبعة الأولىٰ

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الأدب الإسلامي

فَنُّ الدِّرَاسَةِ

الطبعة الأولىٰ

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

الإعداد الفني والجمع التصويري

بدار الأدب الإسلامي

رقم الإيداع

٩٧/٥١٥٠

دار الأدب الإسلامي

للنشر والتوزيع

شركة ذات مسئولية محدودة

ص.ب : ٨١ - بريد بانوراما

١١٨١١ القاهرة - ج. م. ع.

هاتف وفاكس : ٤٠٢٠٨٦٦

www.top25books.net/ilh.asp

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

الْعَامُ الدِّرَاسِيُّ لَبِنَةٌ فِي بِنَاءِ صَرْحِ ثَقَافَتِنَا ، وَمِشْعَلٌ وَهَّاجٌ يُضَافُ إِلَىٰ الْمَشَاعِلِ الَّتِي أَوْقَدْنَاهَا ؛ لِنُنِيرَ الطَّرِيقَ أَمَامَ نَاشِئَتِنَا ...

تَفْتَحُ فِيهِ الْمَدَارِسُ أَبْوَابَهَا ؛ لِتَسْتَقْبِلَ فِلَذَ أَكْبَادِ هَذِهِ الأُمَّةِ ، وَلِتَسْتَقِرَّ فِي رِحَابِهَا آمَالُ الأُلُوفِ مِنْ أَبْنَائِهَا .

فَإِذَا آتَىٰ هَذَا الْعَامُ أُكُلَهُ طَيِّبًا مُبَارَكًا ، عَادَ ذَلِكَ بِالنَّفْعِ عَلَىٰ كُلِّ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا ، وَجَنَتْ يَانِعَ ثَمَرَاتِهِ ، كُلُّ أُسْرَةٍ مِنْ أُسَرِنَا .

وَإِنَّهُ لَمِمَّا يُعِينُ عَلَىٰ إِنْجَاحِ هَذَا الْعَامِ الدِّرَاسِيِّ ، أَنْ يَعْرِفَ الطُّلَّابُ الطَّرِيقَ الأَمْثَلَ لِلْقِرَاءَةِ وَالدَّرْسِ ...

وَأَنْ تُرْسَمَ أَمَامَهُمُ السُّبُلُ وَاضِحَةً ؛ لِيَنَالُوا حَدًّا أَعْلَىٰ مِنَ الْفَائِدَةِ بِبَذْلِ حَدٍّ أَدْنَىٰ مِنَ الْجُهْدِ .

لِهَذَا كُلِّهِ ، آثَرْتُ أَنْ أَجْعَلَ حَدِيثِي هَذَا ، فِي خِدْمَةِ أَبْنَائِي الطُّلَّابِ ، وَأَنْ أُنِيرَ السَّبِيلَ أَمَامَهُمْ ؛ لِيُكَوِّنُوا لِأَنْفُسِهِمْ طَرِيقَةً قَوِيمَةً فِي الدِّرَاسَةِ وَالْقِرَاءَةِ .

فَلَكَمْ شَكَا إِلَيَّ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنَّهُ يُكِبُّ عَلَىٰ كُتُبِهِ سَحَابَةَ نَهَارِهِ ، وَطَرَفًا مِنْ لَيْلِهِ ... ثُمَّ لَا يَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ الْجُهْدِ الْمُضْنِي ، إِلَّا بِمَحْصُولٍ تَافِهٍ .

وَلَكَمْ آلَمَنِي أَنْ يُصَارِحَنِي بَعْضُهُمُ الْآخَرُ : بِأَنَّهُ لَا يَكَادُ يُتِمُّ آخِرَ الْبَحْثِ ، إِلَّا وَيَكُونُ قَدْ نَسِيَ أَوَّلَهُ .

وَلَكَمْ قَالَ لِي قَائِلُهُمْ :

أَنَّهُ يَذُودُ عَنْ نَفْسِهِ الْكَسَلَ ذَوْدًا ، وَيَحْمِلُهَا عَلَىٰ الدَّرْسِ وَالْمُطَالَعَةِ مَا اسْتَطَاعَ إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلاً ...

بَيْدَ أَنَّهُ لَا يَكَادُ يَسْتَقِرُّ فِي مَكَانِهِ ، حَتَّىٰ تَغْشَاهُ الْمَلَالَةُ وَالسَّآمَةُ ، وَيَجِدَ فِي نَفْسِهِ عُزُوفًا شَدِيدًا عَنِ

الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ، وَحَتَّى يَنْفَرِجَ فَمُهُ لِلتَّثَاؤُبِ، وَتَمْتَدَّ ذِرَاعَاهُ لِلتَّمَطِّي...

ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يُغْلِقَ كِتَابَهُ، وَيَنْصَرِفَ إِلَىٰ شَأْنٍ آخَرَ مِنْ شُئُونِهِ.

فَإِلَىٰ هَؤُلَاءِ الطُّلَّابِ جَمِيعًا، أَسُوقُ حَدِيثِي عَلَّهُمْ يَجِدُونَ فِيهِ مَا يُعِينُهُمْ عَلَىٰ حَلِّ مَشَاكِلِهِمْ هَذِهِ.

* * *

الدِّرَاسَةُ طَرِيقُ التَّعَلُّمِ

أَبْنَائِي الطَّلَبَةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ...

تَحِيَّةً لَكُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، وَضَرَاعَةً إِلَيْهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ أَنْ يَنْفَعَكُمْ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِكُمْ عَلَىٰ الدَّوَامِ.

وَبَعْدُ... فَإِنَّ الْأُلُوفَ الْمُؤَلَّفَةَ مِنْ طُلَّابِنَا وَفِلَذِ أَكْبَادِنَا الْمُنْتَظِمِينَ فِي مَرَاحِلِ التَّعْلِيمِ الْمُخْتَلِفَةِ، يُوَاجِهُونَ كُلَّ عَامٍ كَثِيرًا مِنْ مُشْكِلَاتِ الدِّرَاسَةِ الْمُسْتَعْصِيَةِ، وَيَتَعَرَّضُونَ فِي مَسِيرَتِهِمُ الْكُبْرَىٰ إِلَىٰ مَصَاعِبِ الطَّرِيقِ...

فَيَسْقُطُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ حِفَافَيْهِ[1]، وَيُتَابِعُ بَعْضُهُمُ الْآخَرُ سَيْرَهُ بَطِيءَ الْخُطَىٰ، مَوْهُونَ الْقُوَىٰ...

(١) عَلَىٰ حِفافَيه: عَلَىٰ جوانبه.

لِأَنَّ الْقَلِيلَ مِنْهُمْ يَمْضِي فِي دِرَاسَتِهِ عَلَىٰ نَهْجٍ صَحِيحٍ ...

بَيْنَمَا يَسْلُكُ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ سُبُلاً وَعْرَةَ الْفِجَاجِ(١)، مُلْتَوِيَةَ الشِّعَابِ، كَثِيرَةَ الْجُهْدِ، قَلِيلَةَ الثَّمَرَاتِ.

فَكَمْ مِنْ شَابٍّ أَخْفَقَ فِي دِرَاسَتِهِ، فَفَقَدَ ثِقَتَهُ بِنَفْسِهِ عَلَىٰ مَدَىٰ الْحَيَاةِ ...

وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ مَضَىٰ فِي مِنْهَاجِهِ عَلَىٰ كُرْهٍ مِنْهُ وَاشْمِئْزَازٍ.

وَلَوْ أُتِيحَ لِهَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ قَدْرٌ وَافٍ مِنَ الْإِرْشَادِ الْوَاعِي إِلَىٰ أَسَالِيبِ الدِّرَاسَةِ الْقَوِيمَةِ وَطُرُقِهَا النَّافِعَةِ ...

لَمَا أَخْفَقَ الَّذِي أَخْفَقَ، وَلَمَا قَضَىٰ الْآخَرُ أَجْمَلَ سِنِي حَيَاتِهِ كَاسِفَ الْبَالِ، حَزِينَ النَّفْسِ، مُوقَرًا(٢) بِالْأَثْقَالِ.

لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ أَمْرَ التَّخْطِيطِ لِلتَّعْلِيمِ فِي بَلَدٍ مَا؛

---

(١) وعرة الفجاج: مسالك الأرض الوعرة بين الجبال.

(٢) موقرًا: محمَّلاً.

لَجَعَلْتُ فَنَّ الدِّرَاسَةِ فِي مُقَدِّمَةِ مَا يَتَلَقَّاهُ الطُّلَّابُ فِي مَرَاحِلِ التَّعْلِيمِ الْمُتَوَسِّطَةِ ، وَالثَّانَوِيَّةِ ، وَالْجَامِعِيَّةِ ...

وَلَاتَّخَذْتُ مِنْهُ النُّورَ الَّذِي يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، وَالْمُرْشِدَ الَّذِي يُسَدِّدُ خُطَاهُمْ ، وَالرَّائِدَ الَّذِي يَرُودُ[1] لَهُمُ الْمَجَاهِلَ .

ذَلِكَ بِأَنَّهُ فَنٌّ يَهْدِفُ إِلَىٰ تَعْلِيمِ الطَّالِبِ :

كَيْفَ **يُفَكِّرُ** ، **وَيُنَاقِشُ** ، **وَيُلَاحِظُ** ...

وَكَيْفَ **يُحَلِّلُ** ، **وَيُنَظِّمُ** ، **وَيُرَكِّزُ** ...

وَكَيْفَ **يَسْتَوْعِبُ** ، **وَيَخْتَزِنُ** ، **وَيُطَبِّقُ** .

وَذَلِكَ إِلَىٰ جَانِبِ حِرْصِهِ عَلَىٰ **تَنْظِيمِ الْوَقْتِ** ، **وَالْإِفَادَةِ مِنْهُ عَلَىٰ أَكْمَلِ وَجْهٍ** .

فَلِلدِّرَاسَةِ غَايَتَانِ اثْنَتَانِ :

الْأُولَىٰ اكْتِسَابُ قَدْرٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ ...

---

(١) يرود لهم : يقودهم ويعرفهم .

وَالثَّانِيَةُ الْحُصُولُ عَلَىٰ بَرَاعَةٍ[1] مُعَيَّنَةٍ فِي عَمَلِ الْأَشْيَاءِ.

وَإِنَّ تَعَلُّمَنَا كَيْفَ نَدْرُسُ دِرَاسَةً فَعَّالَةً لَأَبْعَدُ أَثَرًا وَأَعْظَمُ خَطَرًا مِنَ اكْتِسَابِ الْمَعْلُومَاتِ.

لَقَدْ أَدْرَكَتِ الْمُؤَسَّسَاتُ التَّعْلِيمِيَّةُ فِي أُورُبَّا وَأَمْرِيكَا خَطَرَ هَذَا الْمَوْضُوعِ، فَأَقَامَتْ لِطُلَّابِهَا دَوْرَاتٍ تَعْلِيمِيَّةً فِي فَنِّ الدِّرَاسَةِ، ثُمَّ رَصَدَتْ نَتَائِجَ هَذِهِ الدَّوْرَاتِ وَقَوَّمَتْهَا... فَوَجَدَتْ أَنَّ الثَّمَرَاتِ الَّتِي أَعْطَتْهَا فَاقَتْ كُلَّ تَقْدِيرٍ، وَأَنَّ الطُّلَّابَ النَّابِهِينَ الَّذِينَ ظُنَّ أَنَّهُمْ فِي غِنًى عَنْ هَذِهِ الدَّوْرَاتِ؛ كَانُوا أَعْظَمَ فَائِدَةً وَأَوْفَرَ نَفْعًا.

لَقَدْ كَانُوا يَقُولُونَ قَدِيمًا:

إِنَّهُ لَيْسَتْ لِلْعِلْمِ طَرِيقٌ مُعَبَّدَةٌ...

غَيْرَ أَنَّ فَنَّ الدِّرَاسَةِ يَقُولُ:

إِنَّ الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ، وَإِتْيَانَ الْبُيُوتِ مِنْ أَبْوَابِهَا؛

---

(١) البراعة: المهارة أو الإتقان.

يَجْعَلُ طَرِيقَ الْعِلْمِ مُعَبَّدًا قَدْرَ الْإِمْكَانِ.

وَقَبْلَ الْإِيغَالِ[1] فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، أُحِبُّ أَنْ أُعْلِنَ بِأَنَّنِي سَوْفَ لَا أَتَنَاوَلُهُ مِنْ جَوَانِبِهِ النَّظَرِيَّةِ الْبَحْتَةِ؛ فَذَلِكَ مِنْ شَأْنِ الْمُخْتَصِّينَ بِالتَّرْبِيَةِ وَعِلْمِ النَّفْسِ...

وَإِنَّمَا سَأَتَنَاوَلُهُ مِنْ خِلَالِ تَجْرِبَتِي الْخَاصَّةِ مُتَعَلِّمًا وَمُعَلِّمًا.

وَلِاتِّصَالِي بِهَذَا الْمَوْضُوعِ قِصَّةٌ:

كَانَ ذَلِكَ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ ثُلُثِ قَرْنٍ، وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ طَالِبًا فِي «الْقَاهِرَةِ».

كُنْتُ أَمُرُّ أَمَامَ سُورِ حَدِيقَةِ الْأَزْبَكِيَّةِ...

وَسُورُ حَدِيقَةِ الْأَزْبَكِيَّةِ هَذَا مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ كُلِّهِ، فَلَا يَكَادُ يَؤُمُّ «الْقَاهِرَةَ» طَالِبٌ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ إِلَّا وَيَطُوفُ بِهِ.

فَعَلَى مَتْنِهِ الطَّوِيلِ؛ تُعْرَضُ أَكْدَاسٌ مِنَ الْكُتُبِ

---

(١) الإيغال: التعمق في الأمر والدخول فيه.

الْمُسْتَعْمَلَةِ الَّتِي ضَاقَ بِهَا أَصْحَابُهَا ذَرْعًا فَنَبَذُوهَا مِنْ بُيُوتِهِمْ، ثُمَّ تَلَقَّفَهَا بَاعَةُ هَذَا السُّورِ، وَعَرَضُوهَا أَمَامَ الْمَارِّينَ بِأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ.

مِنْ فَوْقِ سُورِ حَدِيقَةِ الْأَزْبَكِيَّةِ هَذَا، اشْتَرَيْتُ ذَاتَ مَسَاءٍ كُتَيِّبًا صَغِيرَ الْحَجْمِ ضَئِيلَ الْجِرْمِ(١) لَا يَزِيدُ عَدَدُ صَفَحَاتِهِ الصَّغِيرَةِ عَلَىٰ الْخَمْسِينَ.

لَقَدْ أَغْرَانِي بِشِرَائِهِ رُخْصُ ثَمَنِهِ مِنْ جِهَةٍ، وَالْفُضُولُ الَّذِي أَثَارَهُ فِيَّ عِنْوَانُهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ.

أَمَّا عُنْوَانُ الْكُتَيِّبِ فَهُوَ «فَنُّ الْقِرَاءَةِ وَالدَّرْسِ» وَكَانَ مَصْدَرُهُ دَارَ الْعِلْمِ لِلْمَلَايِينِ فِي «بَيْرُوتَ»، وَأَمَّا ثَمَنُهُ فَقِرْشٌ مِصْرِيٌّ وَاحِدٌ.

وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّنِي مَا دَفَعْتُ فِي حَيَاتِي مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ، وَأَخَذْتُ أَلْفَ ضِعْفِهِ إِلَّا فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ.

فَلَقَدِ انْتَفَعْتُ مِنْ هَذَا الْكُتَيِّبِ الصَّغِيرِ طَالِبًا؛ فَيَسَّرَ

---

(١) ضئيل الجرم: صغير الجسم.

لِيَ الْعَسِيرَ، وَقَرَّبَ الْبَعِيدَ، وَذَلَّلَ الصَّعْبَ...

وَانْتَفَعْتُ بِهِ مُدَرِّسًا؛ فَأَسْدَيْتُ مِنْ خِلَالِهِ النُّصْحَ إِلَىٰ مِئَاتِ الطُّلَّابِ...

وَانْتَفَعْتُ بِهِ مُفَتِّشًا لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَكَبِيرًا لِمُفَتِّشِيهَا؛ فَكَانَ خَيْرَ مِعْوَانٍ لِي عَلَىٰ مُهِمَّتِي.

ثُمَّ إِنَّهُ دَفَعَنِي إِلَىٰ قِرَاءَةِ جَمِيعِ مَا وَقَعَ تَحْتَ يَدَيَّ مِنَ الْكُتُبِ الْأُخْرَىٰ الَّتِي تُعَالِجُ هَٰذَا الْمَوْضُوعَ.

* * *

خُطَّةُ الدِّرَاسَةِ

لَقَدْ عَرَفْتُ مِنْ هَذَا الْكُتَيِّبِ - «فَنُّ الْقِرَاءَةِ وَالدَّرْسِ» - أَنَّ عَمَلِيَّةَ التَّعَلُّمِ أَشْبَهُ مَا تَكُونُ بِمَعْرَكَةٍ ذَاتِ أَهْدَافٍ ...

وَأَنَّ الدِّرَاسَةَ الْجَادَّةَ حَرْبٌ عَلَىٰ الْكَسَلِ وَالْفَوْضَىٰ وَالضَّيَاعِ، وَنِضَالٌ مَعَ النَّفْسِ.

وَلا بُدَّ لِكُلِّ مَعْرَكَةٍ ظَافِرَةٍ مِنْ خُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ.

وَخُطَّةُ الدِّرَاسَةِ تَتَمَثَّلُ فِي «**بَرْنَامَجٍ**» تَضَعُهُ لِنَفْسِكَ بِنَفْسِكَ، وَفِي ضَوْءِ حَاجَاتِكَ وَقُدْرَاتِكَ وَظُرُوفِكَ.

وَأُرِيدُ أَنْ أَضْغَطَ عَلَىٰ كَلِمَةِ «**بَرْنَامَج**»؛ لِأَنَّهَا تُمَثِّلُ الرَّكِيزَةَ الْأُولَىٰ فِي مَوْضُوعِنَا هَذَا.

وَلِإِدْرَاكِ أَهَمِّيَّةِ هَذَا «الْبَرْنَامَجِ» أَرْجُو مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَبْنَائِي الطُّلَّابِ أَنْ يُجْرِيَ عَلَىٰ نَفْسِهِ التَّجْرِبَةَ التَّالِيَةَ:

أَقْتَرِحُ عَلَيْهِ إِذَا مَا هَمَّ بِأَنْ يَأْوِيَ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ أَنْ يَأْخُذَ وَرَقَةً وَقَلَمًا... وَأَنْ يَرْصُدَ[1] بِأَمَانَةٍ وَصِدْقٍ كُلَّ دَقِيقَةٍ مِنْ دَقَائِقِ يَوْمِهِ الْمُنْصَرِمِ، مُنْذُ أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ إِلَىٰ أَنْ هَمَّ بِالنَّوْمِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ...

وَأَنْ يَضَعَ أَمَامَ كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِهِ الْأَرْبَعِ وَالْعِشْرِينَ مَا قَامَ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ.

أَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّهُ سَيَجِدُ نَفْسَهُ أَمَامَ نَتِيجَةٍ مُذْهِلَةٍ مُخْزِيَةٍ مَا كَانَ يَتَوَقَّعُهَا أَبَدًا...

وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا رَمَاهُ بِمَا أَسْفَرَتْ[2] عَنْهُ هَذِهِ النَّتِيجَةُ؛ لَمَا سَكَتَ عَلَىٰ هَذِهِ الْإِهَانَةِ الَّتِي وُجِّهَتْ إِلَيْهِ.

---

(١) يرصد: يراقب ويكتشف. (٢) أسفرت: كشفت.

بَيْدَ أَنَّ هَذِهِ النَّتِيجَةَ ـ عَلَىٰ أَيِّ حالٍ ـ سَتَدْفَعُهُ إِلَىٰ وَضْعِ « **بَرْنَامَجٍ** » يُنَظِّمُ بِهِ حَيَاتَهُ ... فَيَصُونُ وَقْتَهُ مِنْ أَنْ يُبَدَّدَ ، وَيَحْفَظُ جُهْدَهُ مِنْ أَنْ يُهْدَرَ ، وَيَحْمِي طَاقَاتِهِ مِنْ أَنْ تَضِيعَ ، وَيَجْعَلُ لِوُجُودِهِ مَعْنًى ، وَلِحَيَاتِهِ طَعْمًا .

وَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ أَنَّكَ سَتَضَعُ بَرْنَامَجَكَ لِنَفْسِكَ بِنَفْسِكَ ؛ فَالْمُرَبُّونَ يَنْتَهِزُونَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ لِيُسْدُوا إِلَيْكَ بَعْضَ النَّصَائِحِ ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ لَكَ :

اجْعَلْ لِكُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ يَوْمِكَ عَمَلاً مُعَيَّنًا ، وَلِكُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِكَ وَقْتًا خَاصًّا .

وَهَذَا لَا يَعْنِي أَنْ تُحَوِّلَ حَيَاتَكَ كُلَّهَا إِلَىٰ عَمَلٍ دَائِمٍ دَائِبٍ ... وَإِنَّمَا يَعْنِي أَنْ تُفْرِغَ يَوْمَكَ كُلَّهُ : نَوْمَهُ وَصَحْوَهُ وَجِدَّهُ وَلَهْوَهُ فِي « **بَرْنَامَجٍ** » ؛ لِتَكُونَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ عُمُرِكَ كَيْفَ تُفْنِيهِ ، وَشَبَابِكَ كَيْفَ تُبْلِيهِ.

هَذَا ، وَإِنَّ تَنْظِيمَ الْحَيَاةِ فِي « **بَرْنَامَجٍ** » مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُتِيحَ لِلْمَرْءِ فُرَصًا كَافِيَةً لِلِاسْتِمْتَاعِ بِالْعَيْشِ ،

وَالْمُشَارَكَةِ فِي وُجُوهِ النَّشَاطِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ...

بَلْ هُوَ الَّذِي يُعْطِي لِلْمُتْعَةِ مَعْنَاهَا وَيُنَقِّيهَا مِنْ شَوَائِبِ الشُّعُورِ بِالتَّقْصِيرِ.

إِنَّ هَذَا «الْبَرْنَامَجَ» لَا يَسْتَقِيمُ لَكَ...

• إِلَّا إِذَا شَمِلَ يَوْمَكَ كُلَّهُ دَقِيقَةً فَدَقِيقَةً وَسَاعَةً فَسَاعَةً، مُنْذُ الِاسْتِيقَاظِ إِلَىٰ أَنْ تَأْوِيَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ...

• وَإِلَّا إِذَا نَظَرْتَ عِنْدَ وَضْعِهِ إِلَىٰ يَوْمِكَ وَأُسْبُوعِكَ وَشَهْرِكَ، بَلْ وَسَنَتِكَ الدِّرَاسِيَّةِ كُلِّهَا أَيْضًا.

وَالطَّرِيقَةُ الْمُثْلَىٰ لِوَضْعِ الْبَرْنَامَجِ أَنْ تُخَطِّطَهُ عَلَىٰ أَسَاسِ الْأُسْبُوعِ.

وَأَنْ تَمْلَأَ سَاعَاتِهِ ـ أَوَّلاً ـ بِالْأَعْمَالِ الثَّابِتَةِ، وَنَعْنِي بِهَا وَقْتَ الدِّرَاسَةِ فِي الْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ وَالْكُلِّيَّاتِ، وَفَتَرَاتِ الصَّلَاةِ، وَالطَّعَامِ، وَالنَّوْمِ.

ثُمَّ انْظُرْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْوَقْتِ الْبَاقِي وَإِلَىٰ مَوَادِّكَ

الدِّرَاسِيَّةِ، وَحَاجَاتِكَ الْعَمَلِيَّةِ.

وَابْدَأْ بِتَخْمِينِ مَا تَحْتَاجُهُ كُلُّ مَادَّةٍ، وَضَعْهُ فِي السَّاعَةِ الْمُلَائِمَةِ لَهُ.

وَحَاوِلْ - وَأَنْتَ تَضَعُ بَرْنَامَجَكَ هٰذَا - أَنْ تَكُونَ وَاقِعِيًّا مَنْطِقِيًّا.

أَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّكَ سَتَضَعُهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ فَوْرَتِكَ وَتَوَثُّبِكَ[1]... فَاكْبَحْ جِمَاحَ نَفْسِكَ، وَتَذَكَّرْ أَنَّكَ تَضَعُ بَرْنَامَجًا لِفَصْلٍ دِرَاسِيٍّ يَشْغَلُ نِصْفَ الْعَامِ، أَوْلِعَامٍ دِرَاسِيٍّ كَامِلٍ يَشْغَلُ السَّنَةَ كُلَّهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ النُّفُوسَ تَمَلُّ، وَأَنَّ الْأَجْسَادَ تَكِلُّ، وَأَنَّ الْمُنْبَتَّ[2] لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَىٰ...

إِيَّاكَ وَالْإِفْرَاطَ فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَىٰ الْإِخْفَاقِ، وَلِلْإِخْفَاقِ أَوْخَمُ الْعَوَاقِبِ...

---

(١) فورتك وتوثبك: قمة نشاطك واهتمامك.

(٢) المُنْبَتُّ: الذي يسير وحده منقطعًا عن بقية القافلة.

وَإِيَّاكَ وَالتَّفْرِيطَ أَيْضًا، وَذَلِكَ بِأَنْ تَجْعَلَ بَرْنَامَجَكَ دُونَ طَاقَاتِكَ، فَذَلِكَ أَمْرٌ لَا تَقِلُّ عَوَاقِبُهُ سُوءًا عَنِ الْإِفْرَاطِ...

إِنَّهُ مَدْعَاةٌ لِلْكَسَلِ، وَقَنَاعَةٌ بِالْأَدْنَىٰ.

وَمَنْ مِنَّا لَا يُرِيدُ أَنْ يَرْتَفِعَ عَنْ مُسْتَوَىٰ الْأَعْشَابِ؟...

وَمَنْ مِنَّا لَا يَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مَطَامِحُهُ أَبْعَدَ مِمَّا تَصِلُ إِلَيْهِ يَدَاهُ، وَإِلَّا فَلِمَاذَا خُلِقَتِ الْقِمَمُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ؟.

وَمَا دُمْنَا قَدْ دَعَوْنَاكَ إِلَىٰ اتِّخَاذِ الْوَاقِعِيَّةِ أَسَاسًا فِي وَضْعِ بَرْنَامَجِكَ، فَيَحْسُنُ بِنَا أَنْ نُنَبِّهَكَ إِلَىٰ أَنَّ عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ نَفْسَكَ...

وَأَنْ تُحْسِنَ تَقْدِيرَ قُوَاكَ وَأَعْبَائِكَ.

إِنَّ بَعْضَنَا يُغَالِي فِي تَقْدِيرِ قُوَّتِهِ، وَبَعْضَنَا الْآخَرَ يَبْخَسُ نَفْسَهُ حَقَّهَا، وَلَكِنَّنَا فِي الْأَغْلَبِ - مَعَ شَدِيدِ الْأَسَفِ - مِنَ الْمُغَالِينَ فِي هَذَا الْمَجَالِ.

لَقَدْ أُجْرِيَتْ تَجْرِبَةٌ فِي هَذَا الصَّدَدِ؛ فَطَرَحَ أَحَدُ الْمُرَبِّينَ عَلَىٰ مِائَةٍ مِنَ الطُّلَّابِ طَائِفَةً مِنَ الْأَسْئِلَةِ لِاخْتِبَارِ نَظْرَتِهِمْ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ... وَطَلَبَ إِلَىٰ كُلٍّ مِنْهُمْ أَنْ يَضَعَ لِنَفْسِهِ أَمَامَ كُلِّ سُؤَالٍ إِحْدَىٰ الدَّرَجَاتِ التَّالِيَةِ :

ضَعِيفٌ ، وَسَطٌ ، مُتَفَوِّقٌ .

فَكَانَتِ النَّتِيجَةُ أَنَّ ثَمَانِيَةً مِنَ الْمِائَةِ قَالُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ : أَنَّهُمْ ضِعَافٌ ...

بَيْنَمَا قَالَ سِتُّونَ : أَنَّهُمْ مُتَفَوِّقُونَ .

وَالْحَقِيقَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ ، فَالنُّبَغَاءُ الْمُتَفَوِّقُونَ لَا يَتَجَاوَزُونَ عَادَةً الْعَشَرَةَ فِي كُلِّ مِائَةٍ .

ثُمَّ لَا تَنْسَ وَأَنْتَ تَضَعُ بَرْنَامَجَكَ أَنْ تُعْطِيَ الْوَقْتَ الْأَفْضَلَ وَالْأَطْوَلَ لِلْمَادَّةِ الْأَصْعَبِ ...

وَالْوَقْتُ الْأَفْضَلُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الذِّهْنُ فِي رَيْعَانِ قُوَّتِهِ وَحِدَّةِ نَشَاطِهِ .

أَمَّا الْمَوَادُّ الَّتِي تُحِبُّهَا وَتَجِدُ لَذَّةً فِي دِرَاسَتِهَا

فَيَحْسُنُ أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْمُؤَخِّرَةِ، أَوْ تُرَاوِحَ[1] بِهَا بَيْنَ مَادَّتَيْنِ صَعْبَتَيْنِ.

ثُمَّ اعْمِدْ وَأَنْتَ تَضَعُ بَرْنَامَجَكَ الْأُسْبُوعِيَّ إِلَىٰ **التَّوْزِيعِ لَا إِلَىٰ التَّجْمِيعِ...**

فَإِذَا كُنْتَ قَدْ خَصَصْتَ مَادَّةَ «النَّحْوِ» ـ مَثَلًا ـ بِأَرْبَعِ سَاعَاتٍ فِي الْأُسْبُوعِ، فَاجْعَلْهَا فِي أَرْبَعِ لَيَالٍ بَدَلاً مِنْ لَيْلَةٍ أَوْ لَيْلَتَيْنِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ عَقْلَكَ يَعْمَلُ بَيْنَ الْفَتْرَتَيْنِ فِي إِنْضَاجِ الْمَعْلُومَاتِ.

وَلِكَيْ لَا يَعْتَرِيَ بَرْنَامَجَكَ الْخَلَلُ، وَلِكَيْ لَا تَجُورَ فِيهِ مَادَّةٌ عَلَىٰ مَادَّةٍ، يُوصِيكَ الْمُرَبُّونَ:

بِأَنْ تَجْعَلَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ وَقْتًا احْتِيَاطِيًّا مُدَّتُهُ نِصْفُ سَاعَةٍ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَضْمُونِ أَنْ تَنْتَهِيَ الْمَادَّةُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي قَدَّرْتَهُ لِإِنْجَازِهَا فِيهِ.

وَلَكِنْ، اعْزِمْ مُنْذُ اللَّحْظَةِ الْأُولَىٰ عَلَىٰ أَلَّا تَسْتَعْمِلَ

(١) رواح بين الشيئين: تناوله مرة بعد مرة.

هَذَا الْوَقْتَ الِاحْتِيَاطِيَّ إِلَّا فِي حَالَةِ الضَّرُورَةِ الْقُصْوَىٰ...

وَاحْزِمْ أَمْرَكَ عَلَىٰ أَنْ تَنْتَهِيَ كُلُّ مَادَّةٍ فِي الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ لَهَا.

وَعِنْدَ ذَلِكَ تَسْتَطِيعُ الْإِفَادَةَ مِنَ الْوَقْتِ الْإِضَافِيِّ فِي مُرَاجَعَةٍ عَامَّةٍ لِأَهَمِّ مَا دَرَسْتَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ.

وَلِكَيْ لَا يَعْتَرِيَ بَرْنَامَجَكَ الْخَلَلُ أَيْضًا ضَعْ خَمْسَ سَاعَاتٍ احْتِيَاطِيَّةً كُلَّ أُسْبُوعٍ لِمُوَاجَهَةِ مَا يُفَاجِئُكَ مِنْ مُشْكِلَاتٍ، أَوْ مَا تُكَلَّفُ الْقِيَامَ بِهِ مِنْ وَظَائِفَ وَأَعْمَالٍ.

وَلَكِنْ حَذَارِ أَنْ تَظُنَّ أَنَّ بَرْنَامَجَكَ هَذَا سَيَكُونُ دَقِيقًا وَافِيًا بِالْغَرَضِ مُنْذُ أَوَّلِ مَرَّةٍ.

فَأَنْتَ عِنْدَ تَطْبِيقِهِ سَتَجِدُ فِيهِ كَثِيرًا مِنَ الثُّغَرِ، فَاعْمِدْ فِي ضَوْءِ التَّجْرِبَةِ إِلَىٰ تَنْقِيحِهِ وَتَعْدِيلِهِ وَسَدِّ ثُغَرِهِ، حَتَّىٰ يَغْدُوَ مُلَائِمًا لِظُرُوفِكَ، مُحَقِّقًا لِأَغْرَاضِكَ.

وَأَخِيرًا ضَعْ بَرْنَامَجَكَ هَذَا فِي مَكَانٍ يَجْعَلُهُ فِي مُتَنَاوَلِ يَدِكَ كُلَّمَا شِئْتَ.

وَثَبِّتْ نُسْخَةً مِنْهُ فِي مَوْضِعٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَاهُ مِنْهُ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً كُلَّ يَوْمٍ.

* * *

الْإِزْهَاقُ وَصِحَّةُ الطَّالِبِ

هَذَا ، وَإِنَّ الْحَدِيثَ عَنْ وَضْعِ « **الْبَرْنَامَجِ** » فِي ضَوْءِ طَاقَاتِ الدَّارِسِ وَإِمْكَانَاتِهِ ؛ يَسُوقُ عَادَةً إِلَىٰ الْحَدِيثِ عَنِ الْإِزْهَاقِ وَالتَّعَبِ ، وَالْخَوْفِ مِنْهُمَا عَلَىٰ صِحَةِ الطَّالِبِ .

وَهُنَا لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَضَعَ نُصْبَ أَعْيُنِنَا الْحَقِيقَةَ التَّالِيَةَ :

وَهِيَ أَنَّ التَّعَبَ أَمْرٌ لَازِمٌ لِلْحَيَاةِ ... فَالْعَمَلُ الصَّادِقُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُوَرِّثَ[1] تَعَبًا .

وَمَا دَامَتِ الْحَيَاةُ لَا تَسْتَقِيمُ بِغَيْرِ عَمَلٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَقُودُنَا إِلَىٰ أَنَّ التَّعَبَ ضَرُورَةٌ مِنْ ضَرُورَاتِ الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ ، وَمُقَوِّمٌ أَصِيلٌ مِنْ مُقَوِّمَاتِهِ .

---

(١) يورث تعبًا : يكون عاقبته التعب .

إِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ نَخْشَاهُ عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَأَبْنَائِنَا، هُوَ الْإِفْرَاطُ[1] فِي التَّعَبِ لَا التَّعَبُ نَفْسُهُ.

فَإِذَا قَامَ أَحَدُنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ بِعَمَلٍ مُجْهِدٍ جَعَلَهُ يَقُولُ:

آه ... هَأَنَذَا قَدْ أُنْهِكَتْ قُوَايَ.

ثُمَّ أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ؛ فَنَامَ نَوْمًا هَادِئًا كَافِيًا، وَاسْتَيْقَظَ فِي فَجْرِ يَوْمِهِ التَّالِي كَمَا اعْتَادَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ، وَأَدَّىٰ صَلَاتَهُ الْمَكْتُوبَةَ، وَبَاشَرَ عَمَلَهُ كَمَا يُبَاشِرُهُ كُلَّ يَوْمٍ ... فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ تَعِبَ تَعَبًا عَادِيًّا تَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ الْعَمَلِ.

أَمَّا إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ؛ فَنَامَ نَوْمًا مُشَتَّتًا مُشَرَّدًا، وَاسْتَيْقَظَ فِي يَوْمِهِ التَّالِي مَوْهُونَ الْقُوَىٰ، وَشَعَرَ بِنَقْصٍ فِي كِفَايَتِهِ ... فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ قَدْ أَفْرَطَ فِي التَّعَبِ، وَجَاوَزَ فِي الْعَمَلِ الْحَدَّ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ.

هَذَا، وَإِنَّنَا حِينَ نَتْعَبُ التَّعَبَ الطَّبِيعِيَّ لَا نَكُونُ فِي

---

(١) الإفراط: هو تجاوز الحد في عمل ما.

الْعَادَةِ قَدِ اسْتَنْفَدْنَا طَاقَاتِنَا كُلَّهَا، وَإِنَّمَا يَكُونُ قَدْ بَقِيَ لَدَيْنَا شَيْءٌ مِنْهَا نَدَّخِرُهُ لِمُجَابَهَةِ الْأَزَمَاتِ الْعَارِضَةِ، حَتَّىٰ إِذَا مَا أَلَمَّ خَطْبٌ أَوْ دَهَمَ أَمْرٌ اسْتَنْجَدْنَا بِهَذِهِ الْقُوَىٰ الِاحْتِيَاطِيَّةِ، وَاعْتَمَدْنَا عَلَيْهَا فِي مُوَاجَهَةِ الْأَزَمَاتِ.

وَلَكِنْ حَذَارِ مِنَ اسْتِخْدَامِ هَذِهِ الْقُوَىٰ إِلَّا فِي حَالَاتِ الضَّرُورَةِ الْقُصْوَىٰ...

ذَلِكَ لِأَنَّ الْعَمَلَ الَّذِي يَقُومُ بِهِ أَحَدُنَا وَهُوَ مُتْعَبٌ، قَدْ يُثْمِرُ ثَمَرَتَهُ بِفَضْلِ هَذِهِ الْقُوَّةِ الِاحْتِيَاطِيَّةِ...

غَيْرَ أَنَّهَا ثَمَرَةٌ نَدْفَعُ ثَمَنَهَا أَضْعَافَ مَا تَسْتَحِقُّ.

* * *

مَرَاحِلُ الدِّرَاسَةِ

أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ الْأَعِزَّةُ، أَرَانَا قَدْ أَطَلْنَا الْحَدِيثَ عَنِ التَّعَبِ حَتَّىٰ كَادَ يُنْسِينَا ذَلِكَ «الْبَرْنَامَجَ» الَّذِي دَعَا إِلَىٰ هَذَا الِاسْتِطْرَادِ.

فَلْنَعُدْ إِلَىٰ مَا كُنَّا فِيهِ وَلْنَقُلْ:

إِنَّ الْبَرْنَامَجَ الَّذِي أَفْرَغْتَ فِي إِعْدَادِهِ غَايَةَ جُهْدِكَ لَيْسَ مِنَ الدِّرَاسَةِ فِي شَيْءٍ...

إِنَّهُ لَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ صُورَةً مَرْسُومَةً عَلَىٰ الْوَرَقِ لِلطَّرِيقِ، وَلَيْسَتْ هِيَ الطَّرِيقَ نَفْسَهُ.

وَشَتَّانَ بَيْنَ مَنْ يَرْسُمُ الطَّرِيقَ عَلَىٰ الْوَرَقِ وَبَيْنَ مَنْ يَمْشِيهِ سَيْرًا عَلَىٰ الْأَقْدَامِ.

إِذَنْ تَعَالَ نَقْطَعِ الطَّرِيقَ مَعًا بِاسْمِ اللّٰهِ وَعَلَىٰ بَرَكَتِهِ...

وَطَرِيقُنَا ـ أَيُّهَا الأَبْنَاءُ الأَحِبَّةُ ـ يَتَأَلَّفُ مِنْ ثَلَاثِ مَرَاحِلَ:

- **مَرْحَلَةُ مَا قَبْلَ الْحِصَّةِ...**

  وَفِيهَا يَكُونُ الْإِعْدَادُ.

- **وَمَرْحَلَةُ الْحِصَّةِ...**

  وَفِيهَا يَكُونُ الْإِصْغَاءُ.

- **وَمَرْحَلَةُ مَا بَعْدَ الْحِصَّةِ...**

  وَفِيهَا تَكُونُ الْمُذَاكَرَةُ.

* * *

أَوَّلاً : مَرْحَلَةُ مَا قَبْلَ الْـحِصَّةِ
« الْإِعْدَادُ »

هَبْ أَنَّكَ سَتُبَاشِرُ عَمَلَكَ الدِّرَاسِيَّ وَفْقَ مَا رَسَمْنَاهُ لَكَ آنِفًا ... فَإِنَّ عَلَيْكَ أَنْ تَنْظُرَ فِي بَرْنَامَجِ غَدِكَ ، وَأَنْ تَشْرَعَ فِي إِعْدَادِ الدُّرُوسِ الَّتِي سَتُلْقَىٰ عَلَيْكَ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي .

قَدْ يُخَيَّلُ إِلَيْكَ فِي بِدَايَةِ الْأَمْرِ أَنَّ هَذَا « **الْإِعْدَادَ** » أَمْرٌ لَا مُبَرِّرَ لَهُ ، وَأَنَّهُ تَرَفٌ مِنْ تَرَفِ الْمُرَبِّينَ ...

إِذْ مَا الْحَاجَةُ إِلَىٰ إِعْدَادِ دَرْسٍ سَيَتَكَفَّلُ الْمُدَرِّسُ بِتَقْدِيمِهِ عَلَىٰ أَكْمَلِ وَجْهٍ وَمِنْ أَيْسَرِ سَبِيلٍ ؟! ...

وَالْمُرَبُّونَ أَصْحَابُ الْخِبْرَةِ يَقُولُونَ لَكَ :

إِنَّ « **إِعْدَادَ** » الدَّرْسِ مِنْ قِبَلِ الطَّالِبِ هُوَ أَقْوَمُ سَبِيلٍ لِمَنْ يَرُومُ[1] الدِّرَاسَةَ النَّافِعَةَ ...

---

(١) يروم : يريد .

فَمِنَ الْـمُسَلَّمِ بِهِ أَنَّهُ كُلَّمَا ازْدَادَ مَا تَعْرِفُهُ عَنْ دَرْسِكَ الْـمُقْبِلِ، ازْدَادَتْ فَائِدَتُكَ مِنْهُ.

لِذَا يَتَحَتَّمُ عَلَيْكَ أَنْ تَقْرَأَ دَرْسَكَ قِرَاءَةً مُسْتَأْنِيَةً وَاعِيَةً؛ تَقِفُكَ عَلَىٰ حَقَائِقِهِ...

وَتَلْفِتُكَ إِلَىٰ مُشْكِلَاتِهِ...

وَتُمَكِّنُكَ مِنْ أَنْ تُحَدِّدَ عَلَىٰ وَجْهِ الدِّقَّةِ:

مَا فَهِمْتَهُ مِنْهُ...

وَمَا لَمْ تَفْهَمْ...

وَمَا أَنْتَ مُتَرَدِّدٌ فِي فَهْمِهِ...

وَمِنْ ثَمَّ دَوِّنْ فِي دَفْتَرِ تَحْضِيرِكَ مَا يَعِنُّ[1] لَكَ مِنْ مُلَاحَظَاتٍ عَلَيْهِ، وَمَا تَوَدُّ أَنْ تَطْرَحَهُ مِنْ أَسْئِلَةٍ حَوْلَهُ...

إِنَّ هَذِهِ الْأَسْئِلَةَ وَالْـمُلَاحَظَاتِ سَتَكُونُ غَدًا خَيْرَ مِعْوَانٍ[2] لَكَ عَلَىٰ الْفَهْمِ وَالِاسْتِيعَابِ.

---

(١) ما يعن: ما يظهر.

(٢) معوان: كثير العون.

إِنَّ غَيْرَكَ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يُعِدُّوا دُرُوسَهُمْ سَيَأْتُونَ فِي الْيَوْمِ التَّالِي خَاوِينَ خَالِينَ، بَيْنَمَا تَأْتِي أَنْتَ مُثْقَلاً بِالْأَسْئِلَةِ...

«وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ سُؤَالٌ كَانَ لَهُ هَدَفٌ» كَمَا يَقُولُونَ.

إِنَّ بَعْضَ الطُّلَّابِ سَيُلْقِي خِلَالَ الْحِصَّةِ أَسْئِلَةً تَنِمُّ عَلَىٰ جَهْلٍ فَاضِحٍ قَدْ يَحْمِلُ كَثِيرًا مِنَ الْمُدَرِّسِينَ عَلَىٰ الِاشْمِئْزَازِ، مِمَّا يَجْعَلُ الطَّالِبَ السَّائِلَ يَشْعُرُ بِالْخَجَلِ فَلَا يَسْأَلُ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا.

إِنَّ إِعْدَادَ الدَّرْسِ؛ يَجْعَلُكَ قَادِرًا عَلَىٰ تَمْيِيزِ **الْأَهَمِّ مِنَ الْمُهِمِّ...**

وَالْأَسَاسِيِّ مِنَ الثَّانَوِيِّ فِي مَوْضُوعِكَ...

وَيُمَكِّنُكَ مِنْ طَرْحِ الْأَسْئِلَةِ النَّافِعَةِ الَّتِي تَتَّجِهُ نَحْوَ الصَّمِيمِ...

وَتُتِيحُ لَكَ فُرْصَةَ إِغْنَاءِ الْجَوَانِبِ الضَّعِيفَةِ فِي الْمَوْضُوعِ.

إِنَّكَ إِذَا أَعْدَدْتَ دَرْسَ الْغَدِ... حَوَّلْتَ وَقْتَ الْحِصَّةِ إِلَىٰ مَجَالٍ لِلْمُنَاقَشَةِ وَالْوَعْيِ، وَارْتَفَعْتَ بِنَفْسِكَ إِلَىٰ قِمَّةِ الِاسْتِفَادَةِ...

بَيْنَمَا يَتَعَثَّرُ رِفَاقُكَ فِي فَهْمِ الْبَدَهِيَّاتِ.

إِنَّ «إِعْدَادَ» الْحِصَّةِ يُتِيحُ لِلطَّالِبِ فُرْصَةَ الظُّهُورِ بَيْنَ رِفَاقِهِ، وَيُمَكِّنُهُ مِنَ التَّأْثِيرِ فِي دَرْسِهِ وَمُدَرِّسِهِ...

وَبِذَلِكَ تَغْدُو الْحِصَّةُ الَّتِي يَجِدُهَا غَيْرُهُ أَطْوَلَ مِنْ لَيْلِ الْمَهْمُومِينَ نُزْهَةً مُمْتِعَةً عِنْدَهُ.

كَانَ مَعَنَا طَالِبٌ فِي كُلِّيَّةِ الْآدَابِ يُعِدُّ دُرُوسَهُ عَلَىٰ أَكْمَلِ وَجْهٍ وَأَحْسَنِهِ...

وَكَانَتْ أَسْئِلَتُهُ الْوَاعِيَةُ وَمُلَاحَظَاتُهُ الْقَيِّمَةُ، كَثِيرًا مَا تُسَيْطِرُ عَلَىٰ الْحِصَّةِ، وَتَقُودُ خُطَاهَا.

تَغَيَّبَ هَذَا الطَّالِبُ ذَاتَ يَوْمٍ عَنْ إِحْدَىٰ حِصَصِ النُّصُوصِ الْأَدَبِيَّةِ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي لَقِيَهُ الْأُسْتَاذُ؛ فَحَيَّاهُ وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ غِيَابِهِ...

وَفِي تَوَاضُعِ الْعُلَمَاءِ قَالَ الأُسْتَاذُ لَهُ :

« أَرْجُو أَلَّا نَفْتَقِدَكَ بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ ...

قَدْ لَا يَكُونُ فِي غِيَابِكَ خَسَارَةٌ تَقَعُ عَلَيْكَ ، وَلَكِنَّ الْخَسَارَةَ تَقَعُ عَلَى رِفَاقِكَ حِينَ تَغِيبُ » .

وَلَمْ يَبْلُغِ الطَّالِبُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ إِلَّا لِأَنَّهُ كَانَ يُعِدُّ دُرُوسَ الْيَوْمِ التَّالِي .

* * *

ثَانِيًا : مَرْحَلَةُ الْـحِصَّةِ

« الْإِصْغَاءُ »

وَالْآنَ إِذَا أَنْتَ « أَعْدَدْتَ » دَرْسَكَ أَيُّهَا الطَّالِبُ فَلَا عَلَيْكَ إِذَا اسْتَقْبَلْتَ يَوْمَكَ الْجَدِيدَ بِابْتِسَامَةِ الثِّقَةِ وَالْفَخْرِ بِمَا أَنْجَزْتَ ...

لِأَنَّكَ حَضَرْتَ الْـحِصَّةَ وَلَدَيْكَ أَهْدَافٌ .

أَمَّا الْآخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا مِنْ غَيْرِ هَدَفٍ ...

فَإِذَا مَا بَلَغْتَ الْمَرْحَلَةَ الثَّانِيَةَ مِنْ مَرَاحِلِ الْعَمَلِيَّةِ التَّعْلِيمِيَّةِ ، وَدَخَلْتَ غُرْفَةَ الدَّرْسِ وَأَخَذْتَ مَكَانَكَ فِيهَا ، فَخَيْرُ مَا يُوصِيكَ بِهِ الْمُرَبُّونَ هُوَ أَنْ تَكُونَ **مُصْغِيًا جَيِّدَ الْإِصْغَاءِ** ...

وَهُمْ يُرِيدُونَ **بِالْإِصْغَاءِ** شَيْئًا آخَرَ غَيْرَ الِاسْتِمَاعِ .

فَالِاسْتِمَاعُ يَتِمُّ بِإِطْلَاقِ حَاسَّةِ السَّمْعِ لِاسْتِقْبَالِ مَا يُقَالُ؛ دُونَ أَنْ تَبْذُلَ مَجْهُودًا ذَا بَالٍ فِي وَعْيِ هَذَا الَّذِي تَسْمَعُ.

أَمَّا الْإِصْغَاءُ فَهُوَ: أَنْ تَسْمَعَ سَمَاعًا إِرَادِيًّا مَصْحُوبًا بِالْوَعْيِ وَالِانْتِبَاهِ؛ بِحَيْثُ لَا تَسْمَحُ لِتَدَاعِي الْمَعَانِي أَنْ يَعْزِلَكَ عَنِ الدَّرْسِ وَالْمُدَرِّسِ.

وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يُقَوِّمَ إِصْغَاءَهُ، وَيَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ فِي هَذَا الْمَجَالِ الْحَيَوِيِّ مِنْ مَجَالَاتِ الدِّرَاسَةِ، فَالْمُرَبُّونَ يَقُولُونَ لَهُ:

• إِنَّ الْمُصْغِيَ الْجَيِّدَ هُوَ: الَّذِي يَسْبِقُ الْمُدَرِّسَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ، فَيَقِفُ عِنْدَ مُفْتَرَقَاتِ طُرُقِ الْحَدِيثِ؛ لِيَسْأَلَ نَفْسَهُ أَيَتَّجِهُ مُدَرِّسِي إِلَىٰ هُنَا أَمْ إِلَىٰ هُنَاكَ.

• إِنَّهُ ذَلِكَ الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْفِكْرَةِ الْأَسَاسِيَّةِ وَالْفِكْرَةِ الثَّانَوِيَّةِ، وَيُنْفِقُ الزَّمَنَ الَّذِي يُخَصِّصُهُ الْمُدَرِّسُ لِلْأَفْكَارِ الثَّانَوِيَّةِ فِي تَرْكِيزِ الْأَفْكَارِ الْأَسَاسِيَّةِ.

• إِنَّ الْمُصْغِيَ الْجَيِّدَ هُوَ: الَّذِي يَكُونُ فِي أَسْئِلَةٍ دَائِمَةٍ مَعَ نَفْسِهِ، وَفِي تَرَقُّبٍ مُسْتَمِرٍّ لِمَا يُعْطِيهِ أُسْتَاذُهُ مِنْ إِجَابَاتٍ عَنْ هَذِهِ الْأَسْئِلَةِ.

وَلِيُعْطِيَ إِصْغَاؤُكَ ثَمَرَتَهُ الْمَرْجُوَّةَ، وَلِتُفِيدَ مِنْ جُهْدِكَ الَّذِي بَذَلْتَهُ فِي إِعْدَادِ الْحِصَّةِ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ عَلَىٰ أَكْمَلِ وَجْهٍ... لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَسْتَصْحِبَ مَعَكَ دَفْتَرَ تَحْضِيرِكَ، وَأَنْ تَضَعَهُ عَلَىٰ مِنْضَدَتِكَ مَفْتُوحًا عَلَىٰ مَوْضِعِ التَّحْضِيرِ، وَذَلِكَ لِغَرَضَيْنِ اثْنَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: تَتَبُّعُ الْأَسْئِلَةِ وَالْمُلَاحَظَاتِ الَّتِي أَسْفَرَ عَنْهَا التَّحْضِيرُ؛ لِتُشِيرَ إِلَىٰ مَا أُجِيبَ عَنْهُ، وَتُدَوِّنَ الْإِجَابَةَ بِإِزَائِهِ...

وَلِتَسْأَلَ عَمَّا لَمْ يُجَبْ عَنْهُ.

وَثَانِيهِمَا: إِثْبَاتُ أَهَمِّ مَا وَرَدَ فِي الْحِصَّةِ مِنْ تَعْرِيفَاتٍ، وَمُصْطَلَحَاتٍ، وَأَفْكَارٍ أَسَاسِيَّةٍ، وَمُلَاحَظَاتٍ ذَاتِ بَالٍ.

عَلَىٰ أَلَّا يَحُولَ ذَٰلِكَ دُونَكَ وَدُونَ الْإِصْغَاءِ الْوَاعِي...

وَعَلَىٰ أَنْ يَتِمَّ تَسْجِيلُ الْمُلَاحَظَاتِ بِعِبَارَتِكَ الْخَاصَّةِ، لَا بِعِبَارَةِ الْمُدَرِّسِ.

ثُمَّ إِنَّ هُنَاكَ أُمُورًا أُخْرَىٰ تَتَعَلَّقُ بِالْحِصَّةِ قَدْ تَبْدُو لَكَ قَلِيلَةَ الْأَهَمِّيَّةِ؛ وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ كَذَلِكَ... مِنْهَا:

• أَنْ تَدْخُلَ إِلَىٰ قَاعَةِ الدَّرْسِ قَبْلَ الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ لِتَطْمَئِنَّ فِي مَكَانِكَ، وَتَأْخُذَ أُهْبَتَكَ لِلتَّلَقِّي.

• وَأَنْ تَسْتَشْعِرَ وَأَنْتَ تَدْخُلُ هَذَا الْمَكَانَ الْجَلِيلَ؛ فَضْلَ اللَّهِ وَنِعْمَتَهُ عَلَيْكَ... إِذْ أَتَاحَ لَكَ مَا لَمْ يُتِحْ لِلْكَثِيرِ مِنْ أَمْثَالِكَ.

• وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مِنْ حَقِّ النِّعْمَةِ أَنْ تُشْكَرَ، وَأَنْ شُكْرَهَا لَا يَتِمُّ إِلَّا إِذَا اسْتُعْمِلَتْ فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ.

• وَأَنْ تُدْرِكَ أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ يَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنِ الْأَمَاكِنِ الْأُخْرَىٰ مِنْ حَيْثُ حُرْمَتُهُ، وَغَايَاتُهُ، وَطَرِيقَةُ السُّلُوكِ فِيهِ.

وَأَخِيرًا، فَنَحْنُ لَا نُرِيدُ أَنْ نَتْرُكَ هَذِهِ الْمَرْحَلَةَ قَبْلَ أَنْ نُوصِيَكَ بِالْحِرْصِ الْبَالِغِ عَلَىٰ أَلَّا تَفُوتَكَ أَيُّ حِصَّةٍ مَهْمَا كَانَتِ الْأَسْبَابُ...

لِأَنَّ دُرُوسَكَ سِلْسِلَةٌ مُتَّصِلَةُ الْحَلَقَاتِ، وَأَنَّ انْفِصَامَ[1] أَيِّ حَلْقَةٍ مِنْهَا قَدْ يُؤَدِّي إِلَىٰ ضَيَاعِ السِّلْسِلَةِ كُلِّهَا.

* * *

(١) الانفصام: الانقطاع.

ثَالِثًا : مَرْحَلَةُ مَا بَعْدَ الْـحِصَّةِ
« الْـمُذَاكَرَةُ »

هَا نَحْنُ أُولَاءِ قَدْ قَطَعْنَا مَعَكَ ـ أَيُّهَا الطَّالِبُ النَّجِيبُ ـ مَرْحَلَتَيْنِ مِنْ مَرَاحِلِ الْعَمَلِيَّةِ التَّعْلِيمِيَّةِ ، هُمَا :

مَرْحَلَةُ مَا قَبْلَ الْـحِصَّةِ، وَكَانَ قِوَامُهَا « **الْإِعْدَادُ** » .

وَمَرْحَلَةُ الْـحِصَّةِ ، وَكَانَ عِمَادُهَا « **الْإِصْغَاءُ** » .

فَلْنَنْتَقِلْ عَلَىٰ بَرَكَةِ اللَّهِ إِلَىٰ الْمَرْحَلَةِ الثَّالِثَةِ مَرْحَلَةِ مَا بَعْدَ الْـحِصَّةِ ، وَقِوَامُهَا « **الْـمُذَاكَرَةُ** » كَمَا أَشَرْنَا مِنْ قَبْلُ ...

فَكَيْفَ نُذَاكِرُ ؟؟ .

أَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّ لِكُلٍّ مِنكُمْ طَرِيقَتَهُ فِي الْمُذَاكَرَةِ ... وَأَنَّهَا عَادَتْ عَلَيْهِ بِبَعْضِ الْفَوَائِدِ .

لَكِنَّ الْمُرَبِّينَ فِي الْجَامِعَاتِ الْعَرِيقَةِ أَعَدُّوا لِطُلَّابِهِمْ خُطَّةً مُحْكَمَةً ... وَهُمْ يُقَدِّمُونَهَا لَكَ بَعْدَ أَنْ وَضَعُوهَا مَوْضِعَ التَّجْرِبَةِ، وَرَصَدُوا نَتَائِجَهَا فَثَبَتَ لَهُمْ نَجَاحُهَا الْبَاهِرُ، وَجَنَىٰ طُلَّابُهُمْ مِنْهَا أَيْنَعَ[1] الثَّمَرَاتِ.

وَخُطَّتُهُمْ هَذِهِ تَتَأَلَّفُ مِنْ خَمْسِ خُطُوَاتٍ هِيَ:

التَّصَفُّحُ، وَالسُّؤَالُ، وَالْقِرَاءَةُ، وَالِاسْتِظْهَارُ، وَالْمُرَاجَعَةُ.

وَسَأَعْمِدُ إِلَىٰ تَكْرَارِهَا لِتَرْسَخَ فِي ذِهْنِكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ، إِنَّهَا: التَّصَفُّحُ، وَالسُّؤَالُ، وَالْقِرَاءَةُ، وَالِاسْتِظْهَارُ، وَالْمُرَاجَعَةُ.

وَأَرْجُو أَنْ تُعِيدَهَا أَنْتَ لِتَتَمَكَّنَ مِنْ نَفْسِكَ فَضْلَ تَمَكُّنٍ.

وَإِلَيْكَ الْآنَ بَيَانًا مُفَصَّلاً لِكُلِّ خُطْوَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخُطُوَاتِ الْخَمْسِ...

---

(١) أينع الثمرات: أنضجها.

١ ـ خُطْوَةُ التَّصَفُّحِ

أَمَّا التَّصَفُّحُ ، فَيُرَادُ مِنْهُ أَنْ تَحْصُلَ عَلَىٰ صُورَةٍ وَاضِحَةٍ لِلْمَوْضُوعِ الَّذِي تُقْبِلُ عَلَىٰ دِرَاسَتِهِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ مُبَاشَرَةِ الدِّرَاسَةِ وَالْإِيغَالِ[١] فِيهَا .

إِنَّ هَذَا التَّصَفُّحَ أَشْبَهُ مَا يَكُونُ بِالنَّظْرَةِ الْفَاحِصَةِ الَّتِي يُلْقِيهَا الْمُهَنْدِسُ عَلَىٰ الْأَرْضِ ؛ لِيَرَىٰ مَا فِيهَا مِنْ سُهُولٍ ، وَجِبَالٍ ، وَوِدْيَانٍ ، وَبُحَيْرَاتٍ ، وَغَابَاتٍ ... قَبْلَ أَنْ يَعْمِدَ إِلَىٰ شَقِّ طَرِيقٍ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَتَعْبِيدِهِ .

تَصَفَّحِ الْكِتَابَ الَّذِي سَتَدْرُسُهُ فِي أَوَّلِ جَلْسَةٍ ، وَانْتَقِلْ فِي عَمَلِيَّةِ التَّصَفُّحِ هَذِهِ ...

- مِنَ الْكُلِّ إِلَىٰ الْجُزْءِ .
- وَمِنَ الْجُزْءِ إِلَىٰ الْجُزَيْءِ .

---

(١) الإيغال فيها : التعمق فيها .

وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ أَنَّ جُهُودَكَ السَّابِقَةَ الَّتِي بَذَلْتَهَا فِي مَرْحَلَةِ **الْإِعْدَادِ**، سَتُوَفِّرُ عَلَيْكَ كَثِيرًا مِنَ الْوَقْتِ وَالْجُهْدِ الْآنَ.

وَبَعْدُ، فَهَبْ أَنَّكَ تَنَاوَلْتَ كِتَابَ «الْبَلَاغَةِ» الْمُقَرَّرَ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْعَامِ، فَتَصَفَّحْهُ كُلَّهُ...

أَدْرِكْ مُحْتَوَيَاتِهِ...

وَسَتَخْرُجُ مِنْهَا - مَثَلاً - بِأَنَّهُ كِتَابٌ مُخَصَّصٌ لِعِلْمِ الْبَيَانِ، وَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ مِنْ قَضَايَا هَذَا الْعِلْمِ التَّشْبِيهَ، وَالِاسْتِعَارَةَ، وَالْمَجَازَ الْمُرْسَلَ، وَالْكِنَايَةَ...

وَمَا يُقَالُ عَنْ كِتَابِ «الْبَلَاغَةِ» يُقَالُ عَنْ كُتُبِ الرِّيَاضِيَّاتِ، وَالْفِيزْيَاءِ، وَالْكِيمْيَاءِ، وَغَيْرِهَا...

إِنَّ مُقَدِّمَاتِ هَذِهِ الْكُتُبِ أَوْ فَهَارِسَهَا كَثِيرًا مَا تُعِينُكَ عَلَىٰ هَذَا **التَّصَفُّحِ الْإِجْمَالِيِّ**... غَيْرَ أَنَّ ذَٰلِكَ لَا يَكْفِي إِذْ لَا بُدَّ لَكَ مِنَ **التَّصَفُّحِ الْجُزْئِيِّ** لِكُلِّ مَبْحَثٍ.

وَسَتَجِدُ فِي فَهَارِسِ الْكِتَابِ مَا يُلَبِّي حَاجَتَكَ هَذِهِ.

فَاقْرَإِ الْفِهْرِسَ بِبُطْءٍ شَدِيدٍ، وَتَفْكِيرٍ، وَوَعْيٍ، حَتَّىٰ تَقِفَ عَلَىٰ مُحْتَوَيَاتِ الْكِتَابِ كُلِّهَا.

وَلَا تَنْسَ وَأَنْتَ تَتَصَفَّحُ الْكِتَابَ أَنْ تَقْرَأَ عَنَاوِينَهُ كُلَّهَا، وَخُلَاصَاتِهِ جَمِيعَهَا إِنْ كَانَتْ لَهُ خُلَاصَاتٌ.

وَأَنْ تَنْظُرَ إِلَىٰ خَرَائِطِهِ وَمُصَوَّرَاتِهِ إِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ذَٰلِكَ... وَعَلَيْكَ أَنْ تُكَرِّرَ هَٰذِهِ الْعَمَلِيَّةَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ فِي الْعَامِ.

فَإِذَا تَمَّ لَكَ تَصَفُّحُ الْكِتَابِ، وَكَوَّنْتَ عَنْهُ صُورَةً وَاضِحَةً فِي ذِهْنِكَ... انْتَقِلْ آنَئِذٍ إِلَىٰ تَصَفُّحِ الْمَبْحَثِ الَّذِي تَوَدُّ دِرَاسَتَهُ، وَأَوْلِهِ مِنْ وَعْيِكَ وَعِنَايَتِكَ أَكْثَرَ مِمَّا أَوْلَيْتَ الْكِتَابَ نَفْسَهُ...

وَاسْتَعِنْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ بِالْعَنَاوِينِ الرَّئِيسِيَّةِ، وَالثَّانَوِيَّةِ، وَالْهَامِشِيَّةِ...

وَلَا يَغْرُبْ عَنْ بَالِكَ أَبَدًا أَنَّ الْمُؤَلِّفِينَ يَبْذُلُونَ قُصَارَىٰ جُهُودِهِمْ لِتَكُونَ هَٰذِهِ الْعَنَاوِينُ دَقِيقَةً مُعَبِّرَةً عَمَّا تَحْتَهَا.

وَسَوْفَ تَجِدُ مِنْ تَجْرِبَتِكَ - بَعْدَ قِرَاءَةِ الْفَصْلِ - أَنَّ أَفْضَلَ كَلِمَةٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُوجِزَ بِهَا فِكْرَتَهُ الْعَامَّةَ ؛ هِيَ ذَلِكَ الْعُنْوَانُ الَّذِي وَضَعَهُ الْمُؤَلِّفُ بَيْنَ يَدَيْكَ .

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الطُّلَّابِ يُهْمِلُونَ هَذِهِ الْعَنَاوِينَ .

إِنَّ مَثَلَهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ مَنْ يَمْشِي فِي طَرِيقٍ مُظْلِمٍ ، فَإِذَا أَضَاءَ لَهُ أَحَدُهُمْ بَعْضَ الْمَصَابِيحِ أَدَارَ ظَهْرَهُ لِلنُّورِ ، وَانْطَلَقَ يَتَخَبَّطُ فِي عَمَايَاتِهِ[١] .

وَالْآنَ بَعْدَ أَنْ تَصَفَّحْتَ كِتَابَكَ ؛ فَأَلْمَمْتَ بِمُحْتَوَيَاتِهِ إِلْمَامًا إِجْمَالِيًّا ...

وَبَعْدَ أَنْ تَصَفَّحْتَ مَبْحَثَكَ ؛ فَوَقَفْتَ عَلَىٰ جُزْئِيَّاتِهِ ، انْتَقِلْ وَأَنْتَ مُطْمَئِنٌّ إِلَىٰ الْخُطْوَةِ الثَّانِيَةِ ...

* * *

---

(١) عَمَاياته : ظلماته .

٢ ـ خُطْوَةُ الْأَسْئِلَةِ

لِلْوُقُوفِ عَلَىٰ أَثَرِ الْأَسْئِلَةِ فِي الْحَيَاةِ التَّعْلِيمِيَّةِ بِعَامَّةٍ؛ يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّ أَهَمَّ مَا حَصَلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ مَعَارِفَ كَانَ أَجْوِبَةً عَنْ أَسْئِلَةٍ طَرَحَهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ، أَوْ عَلَىٰ غَيْرِهِ، أَوْ عَلَىٰ الْـحَيَاةِ.

وَأَنَّ النَّاسَ كُلَّ النَّاسِ، أَشَدُّ تَذَكُّرًا لِمَا تَلَقَّوْهُ جَوَابًا عَنْ سُؤَالٍ مِمَّا أَخَذُوهُ عَنْ طَرِيقِ الْقِرَاءَةِ وَالْـحِفْظِ...

ذَلِكَ لِأَنَّ عَمَلِيَّةَ طَرْحِ الْأَسْئِلَةِ؛ **تَـحْمِلُ عَلَىٰ التَّفْكِيرِ الْـجَادِّ، وَتَـجْعَلُ الْأُمُورَ وَاضِحَةً فِي الذِّهْنِ حَيَّةً فِي الْفِكْرِ.**

وَلَعَلَّ أَهَمَّ مَا فِي السُّؤَالِ، أَنَّهُ يُحَدِّدُ لِلْمُتَعَلِّمِ هَدَفًا... وَمِنْ هُنَا نُكَرِّرُ عَلَىٰ مَسْمَعِكَ مَا قِيلَ:

«مَنْ كَانَ لَدَيْهِ سُؤَالٌ كَانَ عِنْدَهُ هَدَفٌ» .

وَلِبَيَانِ ذَلِكَ أَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ - أَيُّهَا الأَبْنَاءُ - إِنَّكَ حِينَ وَقَفْتَ عَلَىٰ عُنْوَانِ هَذَا الْبَحْثِ وَهَمَمْتَ بِدِرَاسَتِهِ ، فَإِمَّا أَنْ تُقْبِلَ عَلَيْهِ وَأَنْتَ خَالِي الذِّهْنِ مُتَرَقِّبٌ لِمَا سَيُقَالُ لَكَ . . .

وَإِمَّا أَنْ تُقْبِلَ عَلَيْهِ وَأَنْتَ مُثْقَلٌ بِالأَسْئِلَةِ الَّتِي تَنْتَظِرُ مِنَ الْمُؤَلِّفِ أَنْ يُجِيبَكَ عَنْهَا ، وَذَلِكَ كَأَنْ تَقُولَ فِي نَفْسِكَ :

- مَا فَنُّ الدِّرَاسَةِ هَذَا ؟ .

- وَمَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَنِّ الْقِرَاءَةِ ؟ .

- هَلِ الدِّرَاسَةُ شَيْءٌ وَالْقِرَاءَةُ شَيْءٌ آخَرُ ؟ .

- ثُمَّ مَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَ فَنِّ الدِّرَاسَةِ وَفَنِّ إِعْدَادِ الْبُحُوثِ ؟ .

- أَهَذِهِ الْفُنُونُ حَلَقَاتٌ فِي سِلْسِلَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ أَمْ إِنَّهَا أُمُورٌ مُتَدَاخِلٌ بَعْضُهَا فِي بَعْضِهَا الآخَرِ ؟ .

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَسْئِلَةِ ؛ وَالَّتِي يُوحِي إِلَيْكَ بِهَا

إِمْعَانُ النَّظَرِ فِي الْعُنْوَانِ وَحْدَهُ.

وَخُطْوَةُ **الأَسْئِلَةِ** هَذِهِ، لَا تَأْتِي بَعْدَ خُطْوَةِ **التَّصَفُّحِ** كَمَا يَتَبَادَرُ إِلَىٰ الذِّهْنِ مِنْ مَفْهُومِ الْخُطُوَاتِ، وَإِنَّمَا تَبْدَأُ مَعَهَا، وَتَسْتَمِرُّ إِلَىٰ نِهَايَةِ **الْمُذَاكَرَةِ**...

ذَلِكَ لِأَنَّ طَرْحَ الأَسِئِلَةِ إِنَّمَا هُوَ لُبُّ التَّعَلُّمِ، وَمُخُّ الدِّرَاسَةِ كَمَا أَشَرْنَا مِنْ قَبْلُ.

هَبْ أَنَّكَ عَزَمْتَ عَلَىٰ دِرَاسَةِ مَبْحَثِ «الْكِنَايَةِ» ـ مَثَلاً ـ وَشَرَعْتَ تَخْطُو خُطْوَةَ **التَّصَفُّحِ**؛ فَبَادِرْ إِلَىٰ طَرْحِ الأَسْئِلَةِ عَلَىٰ نَفْسِكَ...

سَلْهَا قَائِلاً:

ـ مَا مَعْنَىٰ «الْكِنَايَةِ» فِي اللُّغَةِ، وَمَا مَعْنَاهَا فِي الِاصْطِلَاحِ؟.

ـ ثُمَّ مَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْمَعْنَىٰ اللُّغَوِيِّ وَالْمَعْنَىٰ الِاصْطِلَاحِيِّ؟.

ـ وَهَلِ «الْكِنَايَةُ» مِنَ الْحَقِيقَةِ أَمْ مِنَ الْمَجَازِ؟.

ـ وَإِذَا كَانَتْ مِنَ الْمَجَازِ، فَمَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ «الِاسْتِعَارَةِ» الَّتِي دَرَسْنَاهَا مِنْ قَبْلُ؟.

ـ ثُمَّ مَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَ «الْكِنَايَةِ» وَ«الرَّمْزِ» فِي الْأَدَبِ الْحَدِيثِ؟.

وَكُلَّمَا حَصَلْتَ عَلَىٰ جَوَابٍ رَكِّزْهُ فِي ذِهْنِكَ أَوْ فِي دَفْتَرِكَ أَوْ فِي كِلَيْهِمَا مَعًا، وَحَاوِلْ أَنْ تَسْتَنْبِطَ مِنْهُ سُؤَالاً آخَرَ وَأَنْ تَلْتَمِسَ جَوَابَهُ، وَسَتَجِدُ أَنَّ الْأَسْئِلَةَ سَوْفَ تَنْهَالُ عَلَيْكَ...

وَأَنَّكَ كُلَّمَا أَجَبْتَ عَنْ سُؤَالٍ دَفَعَكَ ذَلِكَ نَحْوَ سُؤَالٍ جَدِيدٍ.

وَهُنَا لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نُشِيرَ إِلَىٰ أَنَّ وَضْعَ الْأَسْئِلَةِ لَيْسَ بِالْأَمْرِ السَّهْلِ، وَإِنَّمَا هُوَ عَمَلٌ يَحْتَاجُ إِلَىٰ دُرْبَةٍ(١) وَوَقْتٍ وَجُهْدٍ... لَكِنَّ ثَمَرَاتِهِ الْوَفِيرَةَ الْيَانِعَةَ؛ تَجْعَلُ كُلَّ مَا يُنْفَقُ فِي سَبِيلِهِ هَيِّنًا.

---

(١) دُرْبة: تدريب وتجربة.

وَلِاكْتِسَابِ مَهَارَةِ وَضْعِ الْأَسْئِلَةِ، عَلَيْنَا أَنْ نُفِيدَ مِنَ الْأَسْئِلَةِ الَّتِي يُذَيِّلُ بِهَا بَعْضُ الْمُؤَلِّفِينَ فُصُولَ كُتُبِهِمْ...

وَأَنْ نَعْلَمَ أَنَّ الْمُؤَلِّفِينَ النَّاجِحِينَ الَّذِينَ يُعِدُّونَ الْكُتُبَ لِلطُّلَّابِ فِي مَرَاحِلِ التَّعْلِيمِ جَمِيعِهَا؛ يَعْتَبِرُونَ وَضْعَ الْأَسْئِلَةِ مِنْ لُبَابِ عَمَلِهِمْ، وَيُولُونَ هَذَا الْأَمْرَ الْهَامَّ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ مِنْ حَصَافَتِهِمْ(١)، وَخِبْرَتِهِمْ، وَحِذْقِهِمْ.

إِنَّ عَلَيْكَ أَنْ تَقْرَأَ أَسْئِلَةَ الْمُؤَلِّفِ - إِذَا وُجِدَتْ - قَبْلَ قِرَاءَةِ الْمَبْحَثِ وَبَعْدَهَا...

وَأَنْ تَتَذَكَّرَ عَلَىٰ الدَّوَامِ أَنَّ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَهُ سُؤَالٌ يَكُونُ عِنْدَهُ هَدَفٌ.

* * *

---

(١) الحصافة: رجاحة العقل، وإحكام الرأي.

٣ ـ خُطْوَةُ الْقِرَاءَةِ

وَالْآنَ بَعْدَ أَنْ تَصَفَّحْتَ مَبْحَثَكَ الَّذِي تَدْرُسُهُ، وَأَثَرْتَ حَوْلَهُ مِنَ الْأَسْئِلَةِ مَا أَثَرْتَ... تَعَالَ نَخْطُ الْخُطْوَةَ الثَّالِثَةَ مِنْ خُطُوَاتِ الدِّرَاسَةِ أَلَا وَهِيَ: خُطْوَةُ الْقِرَاءَةِ.

إِنَّ جُلَّ الطُّلَّابِ يَجْعَلُونَ الْقِرَاءَةَ أُولَىٰ خُطُوَاتِهِمْ بَلْ وَآخِرَهَا أَيْضًا...

ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ الْمُذَاكَرَةَ لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ جَوْلَةً تَقُومُ بِهَا الْعَيْنَانِ بَيْنَ سُطُورِ الْكِتَابِ.

وَلِكَيْ تُؤْتِيَ هَذِهِ الْخُطْوَةُ ثِمَارَهَا لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَضَعَ نُصْبَ عُيُونِنَا وَنَحْنُ نَقْرَأُ أَنَّنَا إِنَّمَا نَقْرَأُ:

لِنَفْهَمَ، وَنُنَاقِشَ، وَنُرَكِّزَ، وَنُلَخِّصَ، وَنُطَبِّقَ.

وَلَا يَتِمُّ لَنَا ذَلِكَ إِلَّا إِذَا حَرَصْنَا ـ خِلَالَ الْقِرَاءَةِ ـ عَلَىٰ أَنْ نُجِيبَ عَنِ الْأَسْئِلَةِ الَّتِي وَجَّهْنَاهَا لِأَنْفُسِنَا عِنْدَ التَّصَفُّحِ، وَالَّتِي سَنُوَجِّهُهَا إِلَيْهَا فِي أَثْنَاءِ الْقِرَاءَةِ، وَالَّتِي وَجَّهَهَا إِلَيْنَا الْمُؤَلِّفُ فِي نِهَايَةِ الْمَبْحَثِ.

وَلَا بُدَّ لَنَا عِنْدَ الْمُذَاكَرَةِ مِنْ أَنْ نُدْرِكَ إِدْرَاكًا وَاعِيًا أَنَّ النَّصَّ الْمَقْرُوءَ يَتَكَوَّنُ مِنْ ثَلَاثَةِ عَنَاصِرَ، هِيَ:

- أَفْكَارٌ أَسَاسِيَّةٌ...
- وَإِيضَاحَاتٌ هَامَّةٌ أُتِيَ بِهَا لِدَعْمِ هَذِهِ الْأَفْكَارِ...
- وَأُمُورٌ ثَانَوِيَّةٌ تَعِيشُ عَلَىٰ هَامِشِ الْمَوْضُوعِ.

وَأَنْ نَأْخُذَ أَنْفُسَنَا بِالْيَقَظَةِ الدَّائِمَةِ؛ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ هَذِهِ الْعَنَاصِرِ الثَّلَاثَةِ...

لِنُولِيَ الْعُنْصُرَ الْأَوَّلَ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الِاهْتِمَامِ وَالتَّرْكِيزِ...

وَلْنَجْعَلِ الْعُنْصُرَ الثَّانِيَ فِي خِدْمَةِ الْأَوَّلِ...

وَلِكَيْ لَا نُعْطِيَ الْعُنْصَرَ الثَّالِثَ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الِاهْتِمَامِ.

وَلِزِيَادَةِ إِيضَاحِ مَوْضُوعِ الْأَفْكَارِ الْأَسَاسِيَّةِ هَذِهِ، يَحْسُنُ بِنَا أَنْ نُشِيرَ إِلَىٰ أَنَّ كُلَّ نَصٍّ نَدْرُسُهُ يَضُمُّ هَرَمًا مِنَ الْأَفْكَارِ...

- قَاعِدَتُهُ الْأَفْكَارُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَيْهَا الْفِقَرُ...

- وَذِرْوَتُهُ الْفِكْرَةُ الرَّئِيسِيَّةُ الْعَامَّةُ الَّتِي تُدْعَىٰ بِأُمِّ الْفَصْلِ...

- وَبَيْنَ الْقَاعِدَةِ وَالْقِمَّةِ، تَتَرَبَّعُ أَفْكَارٌ هِيَ دُونَ الْفِكْرَةِ الرَّئِيسِيَّةِ تَعْمِيمًا، وَأَعْلَىٰ مِنَ أَفْكَارِ الْفِقَرِ وَأَشْمَلُ.

وَلِاسْتِيعَابِ الْأَفْكَارِ الرَّئِيسِيَّةِ وَحُسْنِ الرَّبْطِ بَيْنَهَا، لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نُرَكِّزَ كُلَّ فِكْرَةٍ أَسَاسِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ مُوجَزَةٍ، وَأَنْ نُثْبِتَهَا بِإِزَائِهَا عَلَىٰ الْهَامِشِ...

وَلَا بُدَّ لَنَا أَيْضًا مِنَ الِاسْتِعَانَةِ بِوَضْعِ الْخُطُوطِ فِي مَتْنِ الْكِتَابِ .

إِنَّ وَضْعَ هَذِهِ الْخُطُوطِ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ لِكُلِّ قِرَاءَةٍ نَاجِحَةٍ شَرِيطَةَ أَنْ تُوضَعَ فِي مَوَاضِعِهَا ، لِأَنَّ الَّذِينَ يَضَعُونَ هَذِهِ الْخُطُوطَ كَيْفَمَا اتَّفَقَ ؛ يُغَرِّرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ تَغْرِيرًا لَا يَشْعُرُونَ بِآثَارِهِ الْمُحْزِنَةِ إِلَّا فِي سَاعَةِ الِامْتِحَانِ .

وَالْمُرَبُّونَ الَّذِينَ يُلِحُّونَ عَلَىٰ الطُّلَّابِ بِوَضْعِ الْخُطُوطِ ؛ يُحَذِّرُونَهُمْ مِنْ أَنْ يَتَعَجَّلُوا فِي وَضْعِهَا ، وَيَنْصَحُونَهُمْ بِأَلَّا يَضَعُوهَا إِبَّانَ **الْقِرَاءَةِ الْأُولَىٰ** ... وَإِنَّمَا يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ خِلَالَ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ أَنْ يَكْتَفُوا بِوَضْعِ إِشَارَاتٍ خَفِيفَةٍ عَلَىٰ هَامِشِ الْكِتَابِ بِمُحَاذَاةِ السُّطُورِ الَّتِي يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا ذَاتُ أَهَمِّيَّةٍ ...

فَإِذَا مَا أَعَادُوا قِرَاءَةَ النَّصِّ ثَانِيَةً ، أَصْبَحَ فِي وُسْعِهِمْ أَنْ يَضَعُوا هَذِهِ الْخُطُوطَ تَحْتَ الْأَفْكَارِ الرَّئِيسِيَّةِ ،

وَالتَّفْصِيلَاتِ الْهَامَّةِ، وَالْكَلِمَاتِ الْفَنِّيَّةِ، وَالْمُصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ.

وَلَكِنْ حَذَارِ مِنَ الْإِكْثَارِ مِنْ تِلْكَ الْخُطُوطِ... فَإِنَّ الْإِكْثَارَ مِنْهَا يُفْقِدُهَا أَهَمِّيَّتَهَا، وَيُبْطِلُ مَفْعُولَهَا، وَيُشَوِّشُ الْكِتَابَ عَلَىٰ الدَّارِسِ.

وَإِذَا كَانَ كِتَابُكَ مِمَّا تَكْثُرُ فِيهِ التَّقْسِيمَاتُ وَالتَّفْرِيعَاتُ؛ فَلَا بُدَّ لَكَ مِنْ ضَبْطِ ذَلِكَ بِالتَّرْقِيمِ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَسْتَعْمِلَ لِلتَّقْسِيمِ الْأَكْبَرِ:

أَوَّلاً، وَثَانِيًا، وَثَالِثًا...

وَلِلتَّقْسِيمِ الَّذِي يَلِيهِ الْأَرْقَامَ: ١، ٢، ٣.

وَلِلتَّقْسِيمِ الَّذِي يَلِيهِ - إِذَا وُجِدَ - الْحُرُوفَ الْأَبْجَدِيَّةَ: أ، ب، ج، د...

أَوْ أَيَّ إِشَارَاتٍ أُخْرَىٰ تَنْظِمُ لَكَ عِقْدَ مَا تَفَرَّقَ، وَتُعِينُكَ عَلَىٰ الْمُتَابَعَةِ وَالرَّبْطِ.

ثُمَّ إِنَّ الْمُرَبِّينَ جَمِيعًا يُوصُونَكَ بِأَنْ تَقْرَأَ فِي حَمَاسَةٍ، وَأَنْ تَقْرَأَ كُلَّ شَيْءٍ.

اقْرَإِ الْعُنْوَانَ الرَّئِيسِيَّ لِلْمَبْحَثِ، وَالْعَنَاوِينَ الْجُزْئِيَّةَ، وَالْعَنَاوِينَ الْهَامِشِيَّةَ...

اقْرَإِ الْهَوَامِشَ، وَالْحَوَاشِيَ، وَالتَّعْلِيقَاتِ...

اقْرَإِ الْبَيَانَاتِ وَتَمَلَّ مِنَ الْمُصَوَّرَاتِ؛ فَرُبَّ صُورَةٍ وَاحِدَةٍ تُسَاوِي أَلْفَ كَلِمَةٍ.

لَا تُغَادِرْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً دُونَ قِرَاءَةٍ؛ فَإِنَّ هَذَا الَّذِي كُتِبَ لَمْ يُكْتَبْ عَبَثًا وَإِنَّمَا كُتِبَ لِغَرَضٍ...

وَكُتِبَ لَكَ وَمِنْ أَجْلِكَ.

وَالْمُرَبُّونَ حِينَ يَتَّفِقُونَ عَلَىٰ دَعْوَتِكَ إِلَىٰ قِرَاءَةِ كُلِّ شَيْءٍ... وَيَحُضُّونَكَ عَلَىٰ دِرَاسَةِ مَبْحَثِكَ كُلِّهِ فِقْرَةً بَعْدَ فِقْرَةٍ، وَأَلَّا تَنْتَقِلَ مِنْ نُقْطَةٍ إِلَىٰ أُخْرَىٰ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهَا بَحْثًا وَوَعْيًا...

يَخْتَلِفُونَ اخْتِلَافًا كَبِيرًا فِي قَضِيَّةِ الْعَقَبَاتِ الْكُبْرَىٰ الَّتِي تَقِفُ فِي طَرِيقِكَ، وَتَحُولُ دُونَكَ وَدُونَ الِانْطِلَاقِ؛ فَيَقُولُ لَكَ بَعْضُهُمْ:

اجْثِمْ أَمَامَ كُلِّ عَقَبَةٍ ، وَلَا تُغَادِرْهَا قَبْلَ تَذْلِيلِهَا ...

اضْرِبْ عَلَيْهَا حِصَارًا مِنْ عَقْلِكَ وَحَزْمِكَ وَانْتِبَاهِكَ ، فَسَرْعَانَ مَا تَنْهَارُ حُصُونُهَا تَحْتَ وَقْعِ ضَرَبَاتِكَ .

إِنَّ مُذَاكَرَةَ مَبْحَثٍ مِنَ الْمَبَاحِثِ شَدِيدَةُ الشَّبَهِ بِاحْتِلَالِ قُطْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ ... فَإِذَا تَرَكَ الْجَيْشُ الْمُحْتَلُّ وَرَاءَهُ قَلْعَةً هُنَا وَحِصْنًا هُنَاكَ مِنْ غَيْرِ إِخْضَاعٍ ؛ فَسَرْعَانَ مَا يَجِدُ خَلْفَهُ قُوَّةً تُهَدِّدُ مُؤَخِّرَتَهُ .

ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَكْتَشِفَ أَنَّ عَلَيْهِ فَتْحَ الْأَرْضِ مِنْ جَدِيدٍ .

أَمَّا بَعْضُهُمُ الْآخَرُ فَيَتَّجِهُ غَيْرَ هَذَا الِاتِّجَاهِ فَيَقُولُ :

حَقًّا إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مُوَاجَهَةِ الْعَقَبَاتِ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَىٰ شَرِيطَةَ أَلَّا نَكُونَ حَمْقَىٰ فِي ثَبَاتِنَا هَذَا .

فَقَدْ يَكُونُ هُنَاكَ طَرِيقٌ يَدُورُ حَوْلَ الْعَقَبَةِ أَسْلَمُ وَأَضْمَنُ لِلْوُصُولِ ...

وَلَقَدْ أَيَّدَ هَذَا الرَّأْيَ أَحَدُ الدَّارِسِينَ الْمُمَارِسِينَ الْكِبَارِ فَقَالَ:

«أَمَّا الثِّقَةُ فَقَدْ كَانَتْ لَدَيَّ، وَكُنْتُ أَمْضِي إِلَىٰ غَايَتِي بِحَزْمٍ وَإِقْدَامٍ...

غَيْرَ أَنَّنِي كَثِيرًا مَا وَقَفَتْ فِي وَجْهِي سُدُودٌ مَنِيعَةٌ، لَكِنَّنِي كُنْتُ أَجِدُ بَعْدَ مُدَّةٍ وَرَاءَ السَّدِّ النُّورَ الَّذِي كُنْتُ أَتَطَلَّبُ أَنْ أَجِدَهُ أَمَامَهُ...

كُنْتُ إِذَا يَئِسْتُ مِنْ تَذْلِيلِ عَقَبَةٍ مُتَعَصِّيَةٍ تَرَكْتُهَا وَمَضَيْتُ، حَتَّىٰ إِذَا خَلَّفْتُهَا وَرَائِي؛ اكْتَشَفْتُ الْمُفَجِّرَ الَّذِي يَنْسِفُهَا».

وَنَحْنُ نَقُولُ لَكَ ـ أَيُّهَا الطَّالِبُ الْجَادُّ ـ:

إِذَا وَاجَهَتْكَ فِي دِرَاسَتِكَ مِثْلُ هَذِهِ الْعَقَبَاتِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُعَانِدَ عِنَادَ قَائِدٍ عَسْكَرِيٍّ يُفْنِي قُوَّاتِهِ فِي هُجُومٍ مُجَابِهٍ فَتَكْثُرُ ضَحَايَاهُ، وَيَدْفَعُ ثَمَنَ نَصْرِهِ ـ إِذَا انْتَصَرَ ـ غَالِيًا.

وَلَـكِنْ إِيَّاكَ أَنْ تَقْلِبَ الصَّفْحَةَ كُلَّمَا عَنَّتْ[1] لَكَ صُعُوبَةٌ ...

بَلِ الحَزمُ أَمْرَكَ، وَحَارِبْهَا بِالظُّفْرِ وَالنَّابِ قَبْلَ أَنْ تُعْلِنَ عَجْزَكَ عَنْهَا، وَتَتَخَطَّاهَا إِلَىٰ غَيْرِهَا.

فَإِذَا مَا قَرَأْتَ دَرْسَكَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ الْجَادَّةَ الْوَاعِيَةَ؛ فَاعْمِدْ إِلَىٰ دَفْتَرِ مُلَخَّصَاتِكَ وَاقْطِفْ ثَمَرَةَ أَتْعَابِكَ، وَوَشِّحْهُ بِمُلَخَّصٍ تُرَكِّزُ فِيهِ حَصِيلَةَ قِرَاءَتِكَ مِنَ الْأَفْكَارِ الْأَسَاسِيَّةِ وَالتَّفْصِيلَاتِ الْهَامَّةِ، عَلَىٰ وَجْهٍ يَتَجَلَّىٰ فِيهِ حُسْنُ فَهْمِكَ...

وَتَبْرُزُ مِنْ خِلَالِهِ قُدْرَتُكَ عَلَىٰ حَذْفِ الْفُضُولِ[2]...

وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الزَّبَدِ الَّذِي يَذْهَبُ جُفَاءً[3]، وَاللَّآلِئِ الَّتِي تَنْفَعُ النَّاسَ فَتَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ[4].

* * *

---

(١) عنت: ظهرت.

(٢) الفُضُول: ما يمكن الاستغناء عنه.

(٣) يذهب جفاءً: هدرًا لا نفع فيه.

(٤) انظر كتاب «فن القراءة» للمؤلف.

٤ ـ خُطْوَةُ الِاسْتِظْهَارِ

وَالْآنَ بَعْدَ أَنْ خَطَوْتَ خُطُوَاتِكَ الثَّلَاثَ...

ـ فَتَصَفَّحْتَ مَبْحَثَكَ الَّذِي تَدْرُسُهُ...

ـ ثُمَّ أَثَرْتَ حَوْلَهُ مَا أَثَرْتَ مِنْ أَسْئِلَةٍ...

ـ ثُمَّ قَرَأْتَهُ تِلْكَ الْقِرَاءَةَ الْجَادَّةَ الْوَاعِيَةَ...

كَمْ يُؤْلِمُكَ وَيَحُزُّ فِي نَفْسِكَ إِذَا اكْتَشَفْتَ أَنَّكَ بَعْدَ هَذَا الْجُهْدِ الْجَاهِدِ لَا تَتَذَكَّرُ كُلَّ مَا قَرَأْتَهُ.

وَلَكِيْ لَا تَقَعَ فِي هَذِهِ الْخَيْبَةِ، أُخْطُ خُطْوَتَكَ الرَّابِعَةَ: خُطْوَةَ الِاسْتِظْهَارِ...

وَنَحْنُ لَا نَعْنِي بِالِاسْتِظْهَارِ: أَنْ تَحْفَظَ مَا قَرَأْتَهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ...

وَإِنَّمَا نَعْنِي بِهِ: أَنْ تَغْدُوَ قَادِرًا عَلَى تَمْثِيلِ

أَفْكَارِهِ الرَّئِيسِيَّةِ، وَتَفْصِيلَاتِهِ الْهَامَّةِ، وَالتَّعْبِيرِ عَنْهَا بِأُسْلُوبِكَ الْـخَاصِّ.

وَيَتِمُّ لَكَ ذَلِكَ بِالْوُقُوفِ فِي نِهَايَةِ كُلِّ فِقْرَةٍ وَبَيْنَ كُلِّ عُنْوَانٍ وَعُنْوَانٍ؛ لِتَرْكِيزِ مَا قَرَأْتَهُ فِي ذِهْنِكَ، وَتَسْمِيعِهِ لِنَفْسِكَ.

وَهُنَا لَا بُدَّ لَكَ وَأَنْتَ تَقُومُ بِعَمَلِيَّةِ التَّسْمِيعِ الذَّاتِيِّ مِنْ أَنْ تُحَدِّدَ عَلَىٰ وَجْهِ الدِّقَّةِ:

مَا وَعَيْتَهُ، وَمَا أَهْمَلْتَهُ، وَمَا أَخْطَأْتَ فِيهِ...

وَذَلِكَ لِتَعْمَلَ عَلَىٰ:

- تَثْبِيتِ مَا وَعَيْتَهُ...
- وَاسْتِدْرَاكِ مَا أَهْمَلْتَهُ...
- وَتَصْحِيحِ مَا أَخْطَأْتَ فِيهِ.

ضَعْ نُصْبَ عَيْنَيْكَ وَأَنْتَ تُذَاكِرُ أَنَّ سَيْفَ النِّسْيَانِ مُصْلَتٌ[1] عَلَىٰ مَا تَدْرُسُهُ...

(١) مُصْلت: مشهر ومنتصب.

وَلِلتَّغَلُّبِ عَلَىٰ هَذِهِ الْآفَةِ الْخَطِيرَةِ ـ آفَةِ النِّسْيَانِ ـ وَلِمُكَافَحَةِ عَمَلِهَا التَّخْرِيبِيِّ النَّشِطِ، لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَخْطُوَ الْخُطْوَةَ الْخَامِسَةَ وَالْأَخِيرَةَ...

خُطْوَةَ الْمُرَاجَعَةِ.

* * *

٥ ـ خُطُوَةُ الْـمُرَاجَعَةِ

كَأَنِّي أَسْمَعُ قَائِلاً يَقُولُ:

وَهَلْ يَحْتَاجُ الأَمْرُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَىٰ مُرَاجَعَةٍ.

وَالْمُرَبُّونَ يَقُولُونَ:

مَا دَامَتْ هُنَاكَ آفَةٌ تَدْعَىٰ آفَةَ النِّسْيَانِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْمُرَاجَعَةِ حَتَّىٰ نَصُدَّ عُدْوَانَهَا عَلَيْنَا، وَحَتَّىٰ نَحْتَفِظَ لِأَنْفُسِنَا بِمَا حَقَّقْنَاهُ مِنْ مَكَاسِبَ؛ بَذَلْنَا فِي سَبِيلِ الْحُصُولِ عَلَيْهَا نُورَ الْعَيْنِ، وَسَهَرَ اللَّيْلِ، وَأَجْمَلَ سَاعَاتِ الْعُمْرِ.

وَمَا دَامَتِ الْمُرَاجَعَةُ أَمْرًا لَا مَنْدُوحَةَ[1] عَنْهُ...

فَمَتَىٰ نُرَاجِعُ، وَكَيْفَ نُرَاجِعُ؟.

---

(١) لا مندوحة عنه: لا مفر منه.

إِنَّ أَغْلَبَ الطُّلَّابِ يُرْجِئُونَ الْمُرَاجَعَةَ إِلَىٰ مَا قَبْلَ الِامْتِحَانِ ، وَلِهَؤُلَاءِ نَقُولُ :

إِنَّ هَذَا أَفْضَلُ وَقْتٍ لِآخِرِ مُرَاجَعَةٍ ، وَلَكِنْ لَا لِأَوَّلِ مُرَاجَعَةٍ .

إِنَّ خَيْرَ وَقْتٍ لِلْمُرَاجَعَةِ ، هُوَ ذَلِكَ الْوَقْتُ الَّذِي يَقَعُ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ دِرَاسَةِ بَابٍ كَامِلٍ مِنْ أَبْوَابِ الْكِتَابِ ، أَوْ مَبْحَثٍ شَامِلٍ مِنْ مَبَاحِثِهِ .

أَمَّا كَيْفَ تُرَاجِعُ ؟ ...

فَالْمُرَبُّونَ يَقُولُونَ لَكَ :

إِنَّ الْمُرَاجَعَةَ هِيَ جِمَاعُ الْخُطُوَاتِ الْأَرْبَعِ السَّابِقَةِ كُلِّهَا ... فَلَا بُدَّ مِنَ :

التَّصَفُّحِ ، وَالْأَسْئِلَةِ ، وَالْقِرَاءَةِ ، وَالِاسْتِظْهَارِ .

وَلَكِنَّ هَذِهِ الْخُطُوَاتِ تَتِمُّ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ مِنْ قِبَلِ إِنْسَانٍ دَرَسَ الْمَبْحَثَ كُلَّهُ وَوَعَاهُ ...

وَمَازَ[1] أَفْكَارَهُ الرَّئِيسِيَّةَ مِنْ أَفْكَارِهِ الثَّانَوِيَّةِ ...

وَفِي كِتَابٍ امْتَلَأَتْ هَوَامِشُهُ بِالْكَلِمَاتِ الْمُرَكَّزَةِ الَّتِي تُقَيِّدُ أَفْكَارَهُ ...

وَازْدَانَ مَتْنُهُ بِالْخُطُواتِ الْوَاضِحَةِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَىٰ أَهَمِّ مَا فِيهِ ...

وَوُسِمَتْ تَقْسِيمَاتُهُ بِالْأَرْقَامِ وَالْحُرُوفِ الَّتِي تُعِينُ عَلَىٰ مُتَابَعَتِهِ.

إِنَّ هَذِهِ الْمُرَاجَعَةَ الْأُولَىٰ لَا تَسْتَنْفِدُ مِنْ وَقْتِكَ وَجُهْدِكَ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ ...

لِأَنَّكَ لَا تَزَالُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِدِرَاسَةِ الْمَبْحَثِ، وَلِأَنَّ آفَةَ النِّسْيَانِ لَمْ تَعْمَلْ عَمَلَهَا بَعْدُ.

إِنَّ مِنْ شَأْنِ هَذِهِ الْمُرَاجَعَةِ، أَنْ تَجْعَلَكَ تُشْرِفُ عَلَىٰ الْمَبْحَثِ وَهُوَ كُلٌّ كَبِيرٌ، بَعْدَ أَنْ وَقَفْتَ عَلَيْهِ مُجَزَّأً ...

---

(١) مَازَ: مَيَّزَ وفرق.

وَأَنْ تُمَكِّنَكَ مِنَ الرَّبْطِ بَيْنَ أَجْزَائِهِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَتُقْدِرَكَ عَلَىٰ تَمَثُّلِ الرُّوحِ الَّتِي تَسْرِي بَيْنَ أَعْطَافِهِ[1]...

وَذَلِكَ بِالْإِضَافَةِ إِلَىٰ أَنَّكَ سَوْفَ تُعِيدُ اسْتِظْهَارَ مَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ اسْتِظْهَارٍ، وَتَمْكِينَ مَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَمْكِينٍ.

هَذَا، وَإِنَّ مِنَ الْمُفِيدِ أَنْ تَقُومَ بَعْدَ هَذِهِ الْمُرَاجَعَةِ بِمُرَاجَعَةٍ أُخْرَىٰ قَبْلَ مُرَاجَعَةِ الِامْتِحَانِ[2]... فَذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُبْقِيَ الْمَعْلُومَاتِ حَيَّةً فِي ذِهْنِكَ، وَأَنْ يَهَبَكَ الْقُدْرَةَ عَلَىٰ مُتَابَعَةِ الطَّرِيقِ.

إِنَّ الْمُرَبِّينَ الَّذِينَ رَسَمُوا لَكَ هَذِهِ الْخُطُواتِ الْخَمْسَ، يَسُرُّهُمْ أَنْ يَقُولُوا لَكَ:

إِنَّ الْآلَافَ مِنْ طُلَّابِهِمُ اسْتَطَاعُوا بِوَسَاطَةِ هَذِهِ الْخُطُواتِ؛ أَنْ يَرْتَفِعُوا بِمُسْتَوَاهُمُ الْعِلْمِيِّ إِلَىٰ حَدٍّ أَدْهَشَهُمْ، وَفَاقَ جَمِيعَ مَا كَانُوا يُقَدِّرُونَ وَيَتَصَوَّرُونَ، وَذَلِكَ بِالْإِضَافَةِ إِلَىٰ مَا نَعِمُوا بِهِ مِنْ طُمَأْنِينَةٍ فِي حَيَاتِهِمُ

---

(١) بين أعطافه: بين جوانبه وجوانحه.

(٢) انظر كتاب «فن الامتحانات» للمؤلف.

الدِّرَاسِيَّةِ ، وَرَاحَةٍ فِي صِحَّتِهِمُ النَّفْسِيَّةِ ، وَاقْتِصَادٍ فِي وَقْتِهِمُ الثَّمِينِ .

وَهُمْ يَسُرُّهُمْ أَنْ يَقُولُوا لَكَ ـ أَيْضًا ـ :

إِنَّ بِاسْتِطَاعَتِكَ أَنْ تَتَحَقَّقَ مِنْ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ ؛ إِذَا أَنْتَ طَبَّقْتَ هَذِهِ الْخُطُوَاتِ بِدِقَّةٍ وَحَزْمٍ .

* * *

الْبَاعِثُ وَالْـحَافِزُ لِلدِّرَاسَةِ

وَبَعْدُ ... فَإِنَّ خَيْرَ الْمَعْلُومَاتِ وَأَشَدَّهَا رُسُوخًا فِي النَّفْسِ؛ تِلْكَ الَّتِي يَنَالُهَا الْمَرْءُ نَتِيجَةً لِتَجَارِبِهِ الشَّخْصِيَّةِ ...

لِهَذَا يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ دَأْبَهُ فِي رَبْطِ ثَقَافَتِهِ النَّظَرِيَّةِ بِحَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ وَتَجَارِبِهِ الشَّخْصِيَّةِ، حَتَّىٰ تَتَمَكَّنَ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتُ مِنْ نَفْسِهِ ...

وَتَخْرُجَ مِنْ سَاحَةِ الْكِتَابِ إِلَىٰ وَاقِعِ الْحَيَاةِ الَّتِي يَحْيَاهَا.

عَلَىٰ أَنَّ هُنَاكَ شَرْطًا أَسَاسِيًّا لِلدِّرَاسَةِ الصَّالِحَةِ تَتَضَاءَلُ أَمَامَهُ كُلُّ النَّصَائِحِ الَّتِي يُسْدِيهَا الْمُرَبُّونَ ... ذَلِكَ الشَّرْطُ الْأَسَاسِيُّ:

هُوَ وُجُودُ الْبَاعِثِ وَالْحَافِزِ ...

هُوَ الرَّغْبَةُ الْعَارِمَةُ فِي التَّعَلُّمِ وَالْإِنْجَازِ...

هُوَ الِاهْتِمَامُ بِالشُّئُونِ الْعَقْلِيَّةِ...

هُوَ الشَّوْقُ إِلَى الْعَمَلِ الْمَدْرَسِيِّ.

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَعَلَّمَ كَيْفَ تَدْرُسُ فَأَنْشِئْ فِي نَفْسِكَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ؛ شُعُورًا بِأَنَّكَ تَرْغَبُ فِي أَنْ تَتَمَكَّنَ مِنْ دُرُوسِكَ، وَأَنَّكَ لَا بُدَّ سَتَتَمَكَّنُ مِنْهَا...

وَلَنْ يَتِمَّ لَكَ ذَلِكَ؛ إِلَّا إِذَا كَوَّنْتَ لِنَفْسِكَ أَهْدَافًا مُحَدَّدَةً، وَمُثُلاً عُلْيَا تَقُودُكَ إِلَيْهَا دِرَاسَاتُكَ...

وَإِلَّا إِذَا أَدْرَكْتَ إِدْرَاكًا وَاضِحًا عَوَاقِبَ الْعَمَلِ الْمُهْمَلِ، وَمُكَافَآتِ الْعَمَلِ الْجَادِّ...

وَإِلَّا إِذَا تَصَوَّرْتَ الرَّاحَةَ الَّتِي تُعْقِبُ النَّجَاحَ، وَالْخَيْبَةَ الَّتِي تُعْقِبُ الْإِخْفَاقَ.

قَدْ يَقُولُ وَاحِدٌ مِنَ الطُّلَّابِ: أَنَا لَا أُحِبُّ دَرْسَ الرِّيَاضِيَّاتِ، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُحِبَّهُ.

وَقَدْ يَجِدُ آخَرُ فِي دَرْسِ التَّارِيخِ بَحْثًا عَنِ الرِّمَمِ الْبَالِيَةِ ، لَا يُطِيقُ عَلَيْهِ صَبْرًا .

وَقَدْ يَرَىٰ ثَالِثٌ فِي دَرْسِ الْقَوَاعِدِ مِنَ الْجَفَافِ مَا يُنَفِّرُهُ مِنْهُ ، وَيَجْعَلُ مِنْ بَدَهِيَّاتِهِ الَّتِي يَعْرِفُهَا الصِّغَارُ ؛ مُعْضِلَاتٍ كُبْرَىٰ لَا يَسْتَوْعِبُهَا عَقْلُهُ .

فَعَلَىٰ هَؤُلَاءِ النَّافِرِينَ مِنْ بَعْضِ الْمَوَادِّ ، وَالَّذِينَ يُرِيدُون أَنْ يُثِيرُوا فِي أَنْفُسِهِمُ الشَّوْقَ إِلَيْهَا وَالْحَافِزَ إِلَىٰ تَعَلُّمِهَا ؛ أَنْ يَعْمِدُوا إِلَىٰ الْبَوَاعِثِ الَّتِي تُسَاعِدُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ ... وَفِي مُقَدِّمَةِ هَذِهِ الْبَوَاعِثِ :

جَمْعُ أَكْبَرِ قَدْرٍ مُمْكِنٍ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ عَنِ الْمَوْضُوعِ الَّذِي نُرِيدُ أَنْ نُضْرِمَ فِي أَنْفُسِنَا نَارَ الشَّوْقِ إِلَيْهِ ...

ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَرْءَ يَجِدُ مُتْعَةً كَبِيرَةً فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَعْرِفُ عَنْهَا مَعْلُومَاتٍ أَكْثَرَ .

فَإِذَا عَرَفْتَ كَيْفَ كَانَ أَجْدَادُكَ الْعَرَبُ يَنْطِقُونَ نُطْقًا سَلِيمًا دُونَمَا قَوَاعِدَ ...

وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ نُشُوءَ اللَّحْنِ[1] بَعْدَ اخْتِلَاطِ الْأَعَاجِمِ بِالْعَرَبِ؛ هُوَ الَّذِي دَعَا إِلَىٰ إِيجَادِ عِلْمِ النَّحْوِ...

وَإِذَا أَلْمَمْتَ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي سَلَكَهَا وَاضِعُو هَذَا الْعِلْمِ وَالْجُهْدِ الَّذِي بَذَلُوهُ حَتَّىٰ قَدَّمُوهُ إِلَيْكَ، وَإِذَا حَفِظْتَ أَسْمَاءَ بَعْضِ الْأَعْلَامِ مِنْ رِجَالِ هَذِهِ الْمَادَّةِ، وَاطَّلَعْتَ عَلَىٰ طَرَفٍ مِنْ تَارِيخِ حَيَاتِهِمْ...

وَإِذَا أَدْرَكْتَ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَوَائِدَ الْعَمَلِيَّةَ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُحَقِّقُهَا فِيمَا لَوْ أَخَذْتَ نَصِيبَكَ مِنْهُ.

نَعَمْ إِذَا تَحَقَّقَ لَكَ ذَلِكَ كُلُّهُ؛ زَالَتِ الْحَوَاجِزُ الَّتِي ضَرَبَهَا الْوَهْمُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ هَذِهِ الْمَادَّةِ، وَتَبَدَّلَتْ نَظْرَتُكَ إِلَيْهَا... وَانْقَلَبَتِ الْعَدَاوَةُ بَيْنَكُمَا إِلَىٰ صَدَاقَةٍ، أَوْ مَا يُشْبِهُ الصَّدَاقَةَ.

هَذَا هُوَ الْبَاعِثُ الْأَوَّلُ عَلَىٰ إِيقَادِ شَرَارَةِ الشَّوْقِ فِي نَفْسِكَ إِلَىٰ تَعَلُّمِ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ.

---

(١) نُشُوءُ اللَّحْن: انتشار الخطأ، والجهل بقواعد علم النحو.

أَمَّا الْبَاعِثُ الثَّانِي :

فَيَكُونُ فِي رَبْطِ الْمَعْلُومَاتِ الْجَدِيدَةِ بِمَعَارِفِكَ الْقَدِيمَةِ، وَاكْتِشَافِ الْعَلَائِقِ[1] الَّتِي قَدْ تُوجَدُ بَيْنَ الْوَقَائِعِ الْحَاضِرَةِ، وَمَا سَبَقَ لَكَ أَنْ وَعَيْتَهُ مِنَ الْمَعَارِفِ.

فَالْأَحْدَاثُ التَّارِيخِيَّةُ الْمَيِّتَةُ، قَدْ تُبْعَثُ حَيَّةً مِنْ مَرْقَدِهَا... عِنْدَمَا تَنْظُرُ إِلَيْهَا مِنْ زَاوِيَةِ الْقَضَايَا الْحَاضِرَةِ...

وَدُرُوسُ الْكِيمْيَاءِ وَالْفِيزْيَاءِ؛ تَغْدُو شَائِقَةً[2] مُمْتِعَةً عِنْدَمَا تَرْبِطُهَا بِحَيَاتِكَ الْيَوْمِيَّةِ.

أَمَّا الْبَاعِثُ الثَّالِثُ مِنْ بَوَاعِثِ هَذَا الشَّوْقِ :

فَهُوَ وُقُوفُكَ مِنَ الْمَوْضُوعِ الَّذِي تَدْرُسُهُ مَوْقِفًا إِيجَابِيًّا فَعَّالاً...

---

(١) العلائق: العلاقات التي تصل الأشياء بعضها ببعض.
(٢) تَغْدُو شَائِقَةً: تصبح حسنة جميلة، تشتاق النفس إليها.

وَذَلِكَ بِاسْتِعْمَالِ مَعَارِفِكَ الْجَدِيدَةِ وَإِثَارَةِ الأَسْئِلَةِ حَوْلَهَا... وَالتَّكَهُّنِ بِالْإِجَابَاتِ الصَّحِيحَةِ عَلَيْهَا، وَالتَّحَقُّقِ مِنْ مَدَىٰ صِحَّةِ هَذِهِ الْإِجَابَاتِ...

وَبَحْثِ الْمَسَائِلِ الَّتِي تَحْتَمِلُ الْخِلَافَ مَعَ رِفَاقِ صَفِّكَ، وَجَعْلِ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ تَلْعَبُ دَوْرًا فِي نَشَاطِكَ.

فَإِذَا تَوَافَرَتْ لَدَيْكَ الرَّغْبَةُ فِي تَعَلُّمِ مَادَةٍ مَا، وَأَوْقَدْتَ شَرَارَةَ الشَّوْقِ فِي ذَاتِكَ إِلَيْهَا... حَقَّقْتَ لِنَفْسِكَ لَذَّةً كُبْرَىٰ، وَلَمْ يَعُدِ الْجُهْدُ الَّذِي تَبْذُلُهُ لِإِتْقَانِ هَذِهِ الْمَادَّةِ عَمَلاً مُضْنِيًا، وَإِنَّمَا غَدَا مُتْعَةً وَلَذَّةً.

بَيْدَ أَنَّ بَعْضَ الْمَوْضُوعَاتِ تَبْقَىٰ غَيْرَ شَائِقَةٍ لَدَىٰ بَعْضِ الطُّلَّابِ؛ مَهْمَا حَاوَلُوا أَنْ يُثِيرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ عَوَامِلَ الشَّوْقِ إِلَيْهَا، وَالرَّغْبَةَ فِي تَعَلُّمِهَا.

وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتُ بَالِغَةَ الأَهَمِّيَّةِ إِلَىٰ حَدٍّ يَتَوَقَّفُ نَجَاحُ الطَّالِبِ عَلَىٰ الأَخْذِ بِطَرَفٍ مِنْهَا، عِنْدَ ذَلِكَ يَتَحَتَّمُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْ عَقْلِهِ، وَأَنْ يُقَدِّرَ

خُطُورَةَ مَوْقِفِهِ، وَأَنْ يَشْحَذَ إِرَادَتَهُ لِتَذْلِيلِ الْمَوْضُوعِ الْحَرُونِ وَتَرْوِيضِهِ.

وَلَنْ يَبْلُغَ الطَّالِبُ ذَلِكَ، إِلَّا إِذَا اتَّبَعَ بَعْضَ النَّصَائِحِ الَّتِي تُسَاعِدُهُ عَلَىٰ حَلِّ هَذِهِ الْمُعْضِلَةِ...

وَفِي مُقَدِّمَةِ هَذِهِ النَّصَائِحِ:

أَنْ يَسْتَشْعِرَ الطَّالِبُ ضَرُورَةَ الْقِيَامِ بِالْمُهِمَّةِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ مَهْمَا بَدَتْ شَاقَّةً عَسِيرَةً...

وَأَنْ يُوَضِّحَ لِنَفْسِهِ الصِّلَةَ بَيْنَ نَجَاحِ مُهِمَّتِهِ الْحَالِيَّةِ، وَبَيْنَ تَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ الْكُبْرَىٰ وَمَطَامِحِهِ الْعُظْمَىٰ...

وَأَنْ يَضَعَ نُصْبَ عَيْنَيْهِ أَنَّ إِخْفَاقَهُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ وَعَدَمَ تَغَلُّبِهِ عَلَىٰ ضَعْفِهِ فِيهَا؛ سَوْفَ يُؤَدِّيَانِ بِهِ إِلَىٰ ضَيَاعِ كُلِّ شَيْءٍ.

أَمَّا النَّصِيحَةُ الثَّانِيَةُ:

فَهِيَ أَنْ يُحَدِّدَ الطَّالِبُ مُهِمَّتَهُ، وَأَنْ يُقَرِّرَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَأَنْ يَبْدَأَ الْعَمَلَ...

وَأَنْ يُحَوِّلَ انْتِبَاهَهُ عَنِ الْمَصَاعِبِ الْمَوْهُومَةِ...

وَأَنْ يُهَيِّئَ لِنَفْسِهِ جَوًّا دِرَاسِيًّا صَالِحًا.

أَمَّا النَّصِيحَةُ الثَّالِثَةُ:

فَهِيَ تَقُومُ عَلَىٰ التَّرْكِيزِ... ذَٰلِكَ أَنَّ شُرُودَ الذِّهْنِ أَوَّلُ خُصُومِ الدَّرْسِ الْمُنْتِجِ... وَأَنَّ سَاعَةً وَاحِدَةً مِنَ الدِّرَاسَةِ الْمُرَكَّزَةِ؛ لَأَفْضَلُ مِنْ عَشْرِ سَاعَاتٍ يُنْفِقُهَا الطَّالِبُ فِي الدِّرَاسَةِ الْمُتَقَطِّعَةِ بِأَحْلَامِ الْيَقَظَةِ.

عَلَىٰ أَنَّ أَشَدَّ أَعْدَاءِ التَّرْكِيزِ خَطَرًا؛ وُجُودُ بَعْضِ الْمُشْكِلَاتِ الَّتِي يُعَانِيهَا الطُّلَّابُ، وَسُحُبُ الْهُمُومِ الَّتِي تَغْمُرُ نُفُوسَهُمُ الشَّابَّةَ... فَتَصْرِفُهُمْ عَنِ الدَّرْسِ وَتَقْتُلُ كَافَّةَ أَلْوَانِ النَّشَاطِ الْفَعَّالِ عِنْدَهُمْ.

وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْهُمُومُ مُنْبَعِثَةً عَنِ الْخَوْفِ مِنَ الْإِخْفَاقِ، أَوْ مُتَأَتِّيَةً مِنَ الشُّعُورِ بِالْهَوَانِ الِاجْتِمَاعِيِّ، أَوْ نَاجِمَةً عَنِ الْهَوَاجِسِ الصِّحِّيَّةِ وَالنَّزَوَاتِ الْعَاطِفِيَّةِ.

وَالطَّالِبُ النَّاجِحُ، هُوَ الَّذِي يُوَاجِهُ مُشْكِلَاتِهِ فِي

شَجَاعَةٍ وَصِدْقٍ ، وَيَدْرُسُهَا مَعَ مَنْ يَثِقُ بِرَأْيِهِ وَحِكْمَتِهِ ، وَيَضَعُ لَهَا الْحُلُولَ الصَّحِيحَةَ ، وَيُحَاذِرُ مِنْ خِدَاعِ نَفْسِهِ بِمُجَانَبَتِهَا وَ إِغْمَاضِ عَيْنَيْهِ عَنْهَا .

وَأَخِيرًا ، فَأَنَا أَوَدُّ أَنْ أَهْمِسَ فِي آذَانِ أَبْنَائِي الطُّلَّابِ ثَلَاثَ هَمَسَاتٍ :

• أَوَّلُهَا : أَنَّهُمْ طَلِيعَةُ أُمَّتِهِمْ وَرُوَّادُهَا الْمُؤْتَمَنُونَ ... وَأَنَّ ذَلِكَ يُلْقِي عَلَىٰ عَوَاتِقِهِمْ كَثِيرًا مِنَ الْأَعْبَاءِ ، وَيُتِيحُ لِكُلٍّ مِنْهُمْ أَنْ يَلِيَ فِي بَنِي قَوْمِهِ مَكَانًا قِيَادِيًّا كَبِيرًا ...

غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْأَمَاكِنَ الْقِيَادِيَّةَ لَا تَفْتَحُ ذِرَاعَيْهَا إِلَّا لِلْكَفِيِّ(١) الْمُتَفَوِّقِ .

• وَثَانِيهَا : أَنَّ اللَّهَ يَسَّرَ لَهُمْ مِنْ سُبُلِ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُيَسِّرْ لِسِوَاهُمْ ... وَهِيَ نِعْمَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ حَقِّهَا أَنْ تُشْكَرَ ... وَشُكْرُهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِنُصْحِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ إِذَا

---

(١) الكفي : الكفء النشط .

هُمْ زَوَّدُوهَا بِالْعِلْمِ، وَسَلَّحُوهَا بِالْحَقِّ...

وَبِنُصْحِهِمْ لِأُمَّتِهِمْ إِذَا هُمْ قَادُوهَا فِي دُرُوبِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ.

• وَثَالِثُ هَذِهِ الْهَمَسَاتِ: أَنْ يَنْظُرُوا - مِنْ حِينٍ إِلَىٰ آخَرَ - إِلَىٰ سَاعَاتِهِمْ... وَأَنْ يَتَأَمَّلُوا مُؤَشِّرَ الدَّقِيقَةِ الصَّغِيرِ وَهُوَ جَادٌّ فِي سَيْرِهِ الْحَثِيثِ، وَلْيَتَذَكَّرُوا أَنَّهُ فِي كُلِّ دَوْرَةٍ يَدُورُهَا؛ إِنَّمَا يَنْحَتُ قِطْعَةً مِنَ الْعُمْرِ.

وَآنَذَاكَ يَحْسُنُ بِهِمْ أَنْ يُرَدِّدُوا قَوْلَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ:

(نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ(١) فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ).

وَأَنْ يَسْأَلُوا اللَّهَ لِي وَلَهُمْ أَلَّا نَكُونَ مِنَ الْمَغْبُونِينَ.

* * *

(١) الغبن: النقص أي فوات الخير والأجر.

مِنْ مَرَاجِعِ هَذَا الْمَوْضُوعِ

- فن القراءة والدرس، تأليف «أ. و. ك» رسالة صغيرة من سلسلة علم النفس للملايين نشرتها دار العلم للملايين في بيروت.
- مرشد المتعلم، «السير جون أدمز» أستاذ التربية في جامعة لندن ـ ترجمه محمد أحمد الغمراوي وطبعته دار الكتب المصرية عام ١٩٣٤م.
- فن الدراسة، تأليف «كليفوردت مورغان» أستاذ علم النفس في جامعة جونس هوبكنس و«جميس ديز» المدرس في جامعة جونس هوبكنس، وترجمة «فؤاد جميل» ومراجعة يوسف حوراني نشرته مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر بالاشتراك مع مكتبة الحياة في بيروت ١٩٦١م.
- العالم بين دفتي كتاب، لطائفة من المؤلفين جمعه «ألفريد استيفرود» وترجمته الدكتورة «سهير قلماوي» وطبعته مطبعة النهضة المصرية سنة ١٩٥٨م.

- تيسير القراءة ، تأليف « بول ويتي » ، وترجمة « سامي ناشد » وإشراف وتقديم عبد العزيز القوصي - مكتبة النهضة المصرية .
- مقدمة سلسلة اقرأ ، للدكتور طه حسين .
- الوسائل والغايات ، أولد هكسلي ، ترجمة محمود محمود من كتب سلسلة الفكر الحديث .

* * *

فِهْرِس